
الإسلام ديننـــــا
دُروس قرآنيَّة
الثاني الثانوي
لجنة المناهج
١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ مـ





المحتويات

مقدمة لجنة المناهج

بسم الله الرحمن الرحيم

نظـرًا للحاجة العاجلة إلى مناهج تُلبّـي متطلبات مشاريع التعليم الدينـي الإسلامي لجميع المراحل -ابتدائـي، إعـدادي، ثانوي- وفق خطـة التعليم طوال السنـة وبمنهجية المراحل، وهـي حاجةٌ مُلِحَّةٌ لا تحتمـل التأخـير، ونظـرًا إلى أنَّ طبيعة العمل في إنجـاز كُتُبٍ دراسيَّة تُلبّي هـذه الحاجة بالصورة المطلوبـة، والتدقيق اللازم يأخذُ وقتًا طويلاً، فقد ارتـأت لجنة المناهج أن تقوم بإعداد هذه السلسلة بصـورة مؤقتـة، وبعجالة مـن أمرنا قمنا بجمع مـا توفَّر لنا من كُتُـبٍ تعليميَّةٍ وكرّاسـاتٍ من جهاتٍ موثوقـة، وقمنا بترتيبها وتقسيمها واختيار المناسـب منها، والتصرف في النصوص كثيرًا، مع إجراء مراجعة عامة للمحتوى.

فهذه المناهج المؤقتة مستفادة من عدَّةِ مصادر، وهي:

جميع المناهج المطبوعة للمجلس الإسلامي العلمائي في البحرين.

بعض مقرّرات مركز الهدى للدراسات الإسلامية.

بعض كرّاساتِ مشروع تعليم الصلاة والقرآن بقرية الدراز.

بعض مناهج جماعة الهُدى للتعليم في القطيف.

بعض إصدارات مركزِ المعارف للدراسات والبحوث الإسلامية.

تنويه مهم

يرجى من الأساتذة الكرام وإدارات التعليم الديني أن يتفضلوا بموافاتنا بملاحظاتهم واقتراحاتهم؛ لتعديل وتطوير هذه المناهج، وشكرًا.

١

الدرس الأول

القرآن منهاج حياة

الدرس الأول

القرآن منهاج حياة

أهداف الدرس

١. أن يتبيّن الطالب أنّ القرآن منهاج للحياة.

منهاج الحياة

يشتمل الدين الإسلاميّ على أتمّ المناهج للحياة الإنسانيّة، ويحتوي على ما يسوق البشر إلى السعادة في الدارين. هذا الدين عُرفت أسسه وتشريعاته من طريق القرآن الكريم والسنّة الشريفة، فالقرآن الكريم ينبوعه الأوّل ومعينه الّذي يترشّح منه.

والقوانين الإسلاميّة الّتي تتضمّن سلسلة من المعارف الاعتقاديّة والأصول الأخلاقيّة والعمليّة، نجد منابعها الأصيلة في آي القرآن العظيم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[1].
وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[2].

فلو دقّقنا النظر في النقاط التالية نُدرك كيف اشتمل القرآن الكريم على المناهج الحياتيّة الّتي لا بدّ من توفّرها للإنسان:

١. السعادة غاية الإنسان:

يهدف كلّ إنسان في هذه الحياة الدنيا للحصول على السعادة. ولكن يختلف البشر في تحديدها وتشخيص الموارد الّتي يمكن أن تحقّقها فبعضٌ يظنّ السعادة في المال، وآخر في الجاه والمنصب

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٢) سورة النحل، الآية: ٨٩.

وغيرهم في الشهرة وهكذا... والسعادة الحقّة يوم القيامة في الجنّة، وقد قال تعالى: ﴿**وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾(٣).

٢. ضرورة القوانين والأنظمة:

لا بدّ للإنسان من هدف خاصّ في أفعاله الفرديّة والاجتماعيّة. وللوصول إلى ذلك الهدف ينبغي استناد أعماله إلى قوانين وآداب خاصّة موضوعة من قبل دين أو غيره.

والقرآن الكريم نفسه يؤيّد هذه النظريّة حيث يقول: ﴿**وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ**﴾(٤).

٣. ضرورة موافقة القوانين للفطرة الإنسانيّة:

ينبغي أن تكون القوانين والأنظمة والآداب موافقة للفطرة السليمة، وليست نابعة من العواطف والاندفاعات الفرديّة أو الاجتماعيّة.

هذا شأن الكون كلّه، سعادته وكماله، باتّباع ما فطره وخلقه الله عليه.

يقول تعالى: ﴿**قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾(٥).

ويقول: ﴿**الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ❖ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى**﴾(٦) ويقول: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ❖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ❖ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ❖ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾(٧).

ويقول: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾(٨).

ويقول: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ**﴾(٩).

---

(٣) سورة الأعلى، الآية ١٧

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٤٨

(٥) سورة طه، الآية: ٥٠

(٦) سورة الأعلى، الآيتان: ٢ـ٣

(٧) سورة الشمس، الآيات: ٧ـ١٠

(٨) سورة الروم، الآية: ٣٠

(٩) سورة آل عمران، الآية: ١٩

ويقول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[١٠].

وبعد وضوح هذه المقدّمات، نشير إلى أنّ القرآن الكريم وضع مناهج الحياة للإنسان:

فقد جعل أساس المنهج معرفة الله، وجعل الاعتقاد بوحدانيّته أوّل الأصول الدينيّة. ومن طريق معرفة الله دلّـه على المعاد، والاعتقـاد بيوم القيامة؛ الّذي يُجـازى فيه المحسن بإحسانـه والمسيء بإساءته وجعلـه أصـلاً ثانياً. ثمّ من طريـق الاعتقاد بالمعاد دلّه على معرفة النبـيّ لأنّ الجزاء على الأعمال لا يمكـن إلّا بعـد معرفة الطاعة والمعصية والحسن والسيّـئ. ولا تتأتّى هذه المعرفة إلّا من طريق الوحي والنبوّة، وجعل هذا أصلاً ثالثاً.

واعتبر القرآن الكريم هذه الأصول – الاعتقاد بالتوحيد والنبوّة الّتي يتفرّع منها الإمامة والمعاد والّذي يتفرّع منه العدل – أصول الدين الإسلاميّ.

وبعـد هذا بيّن أصول الأخلاق المُرضيـة والصفات الحسنة الّتي تُناسب الأصـول الثلاثة، والّتي لا بدّ أن يتحلّـى بها كلّ إنسان مؤمن، ثمّ شرّع له القوانين والأنظمة العمليّة الّتي تضمن سعادته الحقيقيّة، وتنمّي فيه الأخلاق الطيّبة.

ونتيجة القول: إنّ القرآن الكريم يحتوي على منابع أصول الإسلام الثلاثة كما يلي:

١. أصول العقائد، وهي تنقسم إلى أصول الدين التوحيد والنبوّة المعاد.

٢. الأخلاق.

٣. الأحـكام الشرعيّـة والقوانين العمليّـة الّتي بيّن القرآن أسسهـا، وأوكل بيـان تفاصيلها إلى النبيّ ﷺ، وجعـل النبـيّ بيان أهل بيتـه عليهم السلام بمنزلة بيانه كما يُعرف ذلك من حديـث الثقلين المتواتر نقله عند السُنّة والشيعة.

---

(١٠) سورة آل عمران، الآية: ٨٥

خلاصة الدرس

- رسم القرآن مناهج الإنسان الحياتيّة باعتماد المقدّمات التالية:

١. السعادة غاية الإنسان.

٢. ضرورة القوانين والأنظمة.

٣. ضرورة موافقة القوانين للفطرة الإنسانيّة.

- وجعل أساس المنهج معرفة الله، وجعل الاعتقاد بوحدانيّته أوّل الأصول الدينيّة، ومنه تفرّعت باقي الأصول.
- ويحوي القرآن الكريم منابع أصول الإسلام الثلاثة كما يلي:

١. أصول العقائد، وهي تنقسم إلى أصول الدين التوحيد والنبوّة المعاد وما يتفرّع عليها من الإمامة والعدل.

٢. مكارم الأخلاق.

٣. الأحكام الشرعيّة والقوانين العمليّة.

٢

الدرس الثاني

من خصائص القرآن الكريم

الدرس الثاني

من خصائص القرآن الكريم

اختص القرآن الكريم بعدة خصائص، منها:

١. سلامته من التحريف:

من الخصائص المهمّة للقرآن الكريم أنّه محفوظ عن التحريف، وهذا بخلاف الإنجيل والتوراة اللّذين حُرِّفا حذفاً وإضافة، يقول سبحانه: ﴿**مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ**﴾[11].

وهناك كتب وبحوث كثيرة أثبتت تحريفهما ما أزال صفة الوحي والقدسيّة عنهما.

أمّا القرآن الحكيم فقد بقي مصوناً محفوظاً بحفظ الله ورسوله، وإليكم بعض ما يدلّ على بقائه كما أنزله الله تعالى:

١. القرآن نفسه: وذلك لتواتره بين المسلمين، وعدم الاختلاف فيه، وقد نزل على قلب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في ٢٣ سنة دون تراجع أو تقدّم في البلاغة والفصاحة وحسن البيان، يقول تعالى:
﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا**﴾[12].

ويقول تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾[13]، وبهذه الآية المتواترة القطعيّة ثبت أن لا زيادة فيه، فهل فيه نقيصة؟

يقول تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[14].

فالذكر هنا هو القرآن، والمراد من حفظه إبقاؤه على ما كان عليه وكما نزل على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. فلو

(١١) سورة النساء، الآية: ٤٦.

(١٢) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(١٣) سورة فصّلت، الآيتان: ٤١-٤٢.

(١٤) سورة الحجر، الآية: ٩.

فرض إسقاط آية منه فلا يكون حينئذ محفوظاً من قبل الله، جلّ الله عن ذلك وعلا علوّاً كبيراً.

٢. الروايات الصحيحة عن بيت العصمة والطهارة، حيث تدلّ على أنّ ما بين الدفّتين تمام ما أنزل، من دون نقيصة أو تحريف، وهي على أنواع، منها:

أ) الأخبار الواردة في بيان الثواب لسور القرآن الكاشفة عن عدم تحريف السور لأنّه لا معنى للثواب على قراءة السور المحرّفة.

ب) الأخبار الدالّة على لزوم عرض الأخبار مطلقاً، أو عند تعارضها، على كتاب الله، حيث إنّه لا معنى لعرض الأخبار على القرآن المحرّف، ما يكشف عن صحّته وعدم وقوع التحريف فيه.

جـ) الأخبار الدالّة على وجوب التمسّك بالقرآن، كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي»[١٥]. وأسانيدها لا تقبل المناقشة عند أحد من المسلمين. فلو كان الكتاب محرّفاً لما كان للتمسك به معنى.

٣. إنّه لو سقط من القرآن شيءلم تبقَ ثقة في الرجوع إليه.

٤. إنّ شدّة الاهتمام والضبط في عصر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وبعده في حفظ الكتاب أخرج سقوط شيء منه عن مجرى العادة.

٢. القرآن كتاب عالميّ:

لا يختصّ القرآن بالعرب أو بالمسلمين،إنّما هو كتاب لكلّ الناس بجميع ألوانهم وأعراقهم، يقول تعالى: ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ**﴾[١٦].

(١٥) سنن الترمذي: ج ٥ ص ٦٦٢ ح ٢٧٨٦ و ٢٧٨٨، صحيح مسلم: ج ٤ ص ١٨٧٤ ح ٣٦ و ٣٧، ينابيع المودة: ج ١ ص ٩٥ ح ١٢٦، الكافي: ج ٢ ص ٤١٥ باب أدنى ما يكون به العبد مؤمنا أو كافرا أو ضالا من كتاب الإيمان والكفر ح ١، وغيرها من مصادر الفريقين.

(١٦) سورة ص، الآية: ٨٧.

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ❖ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾[١٧].

٣. القرآن كتاب شامل:

ففيه كلّ ما يحتاج إليه الإنسان في سيره التكامليّ نحو السعادة من أسس العقائد إلى تنظيم المجتمع وأخلاق المعاملة وأدب العبادة وتنظيم حياة الناس. يقول تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[١٨].

٤. القرآن كتاب لكلّ زمان ومكان:

يقول تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ❖ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾[١٩].

القرآن هدفه تعريف الإنسان بنفسه وبربّه ودنياه وآخرته والسبل الآيلة لخلوصه من هذه الدنيا سعيداً وحياته فيها معافى، وهذا غير متعلّق بزمان أو مكان، ففي القرآن الحقائق الثابتة، الّتي لا يتطرّق إليها البطلان ولا تنسخ بمضيّ القرون والأعوام، يقول تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾[٢٠].

خلاصة الدرس

- من خصائص القرآن الكريم

١. سلامته من التحريف.

٢. القرآن كتاب عالميّ.

٣. القرآن كتاب شامل.

٤. القرآن كتاب لكلّ زمان ومكان.

---

(١٧) سورة المدّثر، الآيتان: ٣٥ـ ٣٦.

(١٨) سورة النحل: الآية ٨٩.

(١٩) سورة الطارق، الآيتان: ١٤ـ ١٥.

(٢٠) سورة الإسراء، الآية: ١٠٥.

للمطالعة

القرآن والإتقان في المعاني

تعرّض القرآن الكريم لمواضيع كثيرة العدد، متباعدة الأغراض من الإلهيّات والمعارف، وبدء الخلق والمعاد، وما وراء الطبيعة من الروح والملك وإبليس والجنّ، والفلكيّات، والأرض، والتاريخ، وشؤون فريق من الأنبياء الماضين، وما جرى بينهم وبين أممهم، وللأمثال والاحتجاجات والأخلاقيّات، والحقوق العائلية، والسياسات المدنيّة، والنُّظُم الاجتماعيّة والحربيّة، والقضاء والقدر، والكسب والاختيار، والعبادات والمعاملات، والنكاح والطلاق، والفرائض، والحدود والقصاص وغير ذلك. وقد أتى في جميع ذلك بالحقائق الراهنة، الّتي لا يتطرّق إليها الفساد والنقد في أيّة جهة من جهاتها، ولا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها. وهذا شيء يمتنع وقوعه عادة من البشر – ولا سيّما ممّن نشأ بين أمّة جاهلة لا نصيب لها من المعارف، ولا غيرها من العلوم – ولذلك نجد كلّ من ألّف في علم من العلوم النظريّة، لا تمضي على مؤلّفه مدّة حتّى يتّضح بطلان كثير من آرائه. فإنّ العلوم النظريّة كلّما ازداد البحث فيها وكثر، ازدادت الحقائق فيها وضوحاً، وظهر للمتأخّر خلاف ما أثبته المتقدّم. والحقيقة – كما يقولون – بنت البحث، وكم ترك الأوّل للآخر، ولهذا نرى كتب الفلاسفة الأقدمين، ومن تأخّر عنهم من أهل التحقيق والنظر، قد صارت عرضة لسهام النقد ممّن تأخّر، حتّى أنّ بعض ما اعتقده السابقون برهاناً يقينيّاً، أصبح بعد نقده وهماً من الأوهام، وخيالاً من الأخيلة.

والقرآن مع تطاول الزمان عليه، وكثرة أغراضه، وسموّ معانيه، لم يوجد فيه ما يكون معرّضاً للنقد والاعتراض، اللهمّ إلّا أوهام من بعض المكابرين، حسبوها من النقد(٢١).

---

(٢١) البيان في تفسير القرآن، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٦٧ – ٦٨.

٣

الدرس الثالث

القرآن الكريم
المعجزة الخالدة

الدرس الثالث

القرآن الكريم المعجزة الخالدة

أهداف الدرس

١. بيانُ ضرورة المعجزة وأهمّيتِها في هداية النَّاس إلى الله.

٢. بيانُ أنَّ معجزة الإسلام الأساسية والكبرى هي القرآن الكريم.

٣. بيانُ الأوجه المختلفة لإعجاز القرآن.

ضرورة المعجزة

الحكمــة الإلهيّــة تقتضي تزويد الإنســان بطريق الهدايــة إلى الله تعالى، غير طريــق الحسّ والعقل لقصورهما وعــدم قدرتهما بذاتهما على معرفة طريق الهداية إلى الله بكلِّ أبعاده وتفاصيله. فكانت الحاجة إلى طريق آخر غير الحسّ والعقل، وهذا الطريق هو طريق الوحي والنُّبوَّة، أي طريق الغيب: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ﴾[٢٢].

وبما أنَّ أفراد النَّاس ليسوا جميعهم مؤهّلين لاستقبال الوحي، فلا بدَّ إذن من الوحي لبعضهم ورجوع الآخريــن إليهم لمعرفة إرادة الربّ ومشيئته. وبما أنَّ الوحــي ليس أمراً محسوساً للآخرين حتَّى يروه ويعرفــوا أنَّ هــذا الشخصــ الذي قد أوحي إليه أنَّــه هو النبيّ، كان لا بد من وجــود طريق نعرف من خلالــه تمييز ذلــك الشخص ولياقته لتلقّي الوحي الإلهيّ، ولا بــدَّ أنْ تكون لديه علامةٌ على ذلك من قبــل الله تعــالى. أي لا بدَّ أنْ يكون فيه أثرٌ يدلُّ علــى ارتباطه بالله عز وجل. وهذه العلامة أو الطريق ليســت ســوى «المعجزة» التي يختصُّ بها النبيّ وحده، والتي تمكِّنُه من فعــل أشياءَ يعجزُ سائر النَّاس عن فعلها والإتيان بمثلها.

والمعجــزة، هي أمرٌ خلاف المجاري العاديّة والسنن الطبيعية والتي لا تحصل إلا بقدرة الحقّ عزّ وجل وإرادتــه، فتكون هذه المعجزة دليلاً على شــدَّة ارتباط هذا الشخص بالله تعالى، وعلى نبوَّته. فالحقّ

---

(٢٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

سبحانــه وتعالى، يؤيّد أنبياءه بالمعجزات الباهرات التي تجعـل المرءَ مشدوهاً إلى صاحبها والذي ما يلبث أنْ يعترف أنَّه لا يملك شيئاً من عند نفسه، وإنَّما هو مبعوث من اللّه الحقّ.

وبمــا أنَّ النَّاسَ ينجذبـون إلى ما هو خارق للعـادة، وبما أنّهم لم يقـدروا على الإتيـان بمثله، فإنّهم يعترفون بعجزهم أمام النبيّ الذي راح يتلو عليهم آيات اللّه ويلفتهم إلى المعجزة الكبرى التي هي سرّ العـالم. فالمعجـزة إذاً ظاهرة عامة في كلّ النبوّات، وتأييد لمدّعاهم السفارة من اللّه. وهي فعل يعجز الآخرون عن الإتيان بمثله، لذا أصبحت طريقاً لمعرفة النبيّ.

وللمعجزة علامتان أساسيتان:

الأولى: أنَّه لا يمكن أنْ يتغلّب عليها أيّ عاملٍ آخر أقوى منها.

الثاني: أنَّها غير قابلة للتَّعلّم والتَّعليم، وإنَّما هي موهبة إلهية يمنحها اللّه لمن يشاء من عباده.

معجزة القرآن

العقـل الإنســاني يحكم بضرورة المعجزة للأنبياء عليهم السلام فيما إذا توقّـف عليها إتمام الحجّة على النَّاس وهدايتهم، والأنبياء عليهم السلام بشكل عام لا بدَّ أنْ يكونوا مؤيّدين بالإعجاز.

القــرآن الكريم قد ذكر الكثير مــن معاجز الأنبياء والرسل كمعجزة «المائدة» و «الناقة» و«ولادة النبي عيســى عليه السلام» ومعاجــز النبي «موســى عليه السلام» ومعاجز النبي «نوح عليه السلام» والنبــي «إبراهيم عليه السلام» والكثـير مــن المعاجز التــي حصلت للرسول الأكـرم صلى الله عليه وآله وسلم. والملاحظة المهمَّة في مجـال المعجزات أنَّ جميـعَ معجـزات الأنبياء والرسـل عليهم السلام باستثناء معجــزة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كانــت مقصورة على الحاضريــن، حيــث كانت تثبت عندهم بالمشاهــدة ثمَّ يتمّ إثباتها للغائبين عــن طريق النقل. فجميع الرِّســالات السَّماوية السَّابقة على الإسلام كانت محـدودةً في الزَّمان والمكان، والآيات القرآنيّة تشيرُ إلى ذلك بوضوح.

ولكن لمَّا كانت رسالة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هي الرِّسالة الخاتمة حيث إنَّه لا نبيّ بعده:

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[٢٣]،

(٢٣) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

وبما أنَّه صلى الله عليه وآله لم يُبعثْ لأمَّةٍ محدّدة في مكانٍ محدّد، وزمان معيَّن، أو زمان خاص، وإنّما أُرسل إلى النَّاس كافّةً كما تشيرُ الآيات القرآنيّة إلى شموليَّة دعوته صلى الله عليه وآله وعمومية نبوّته لجميع البشر: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾[٢٤]، فلا بد أنْ تتبعه البشرية منذ ذلك الوقت إلى أنْ يرث الله الأرض ومن عليها، لذا كانت الحكمةُ الإلهيّةُ تقتضي تزويد النبيّ صلى الله عليه وآله بمعجزة خالدة لا تقتصر على زمان خاص، ولا على مكانٍ معيّنٍ.

فرسالةُ الإسلام أبديَّةٌ عالميةٌ، ولا بد أنْ تكونَ معجزته كذلك وقد تحقَّق ذلك في القرآن الكريم، وهو بنفسه يصرِّح بذلك حيث ينقل عن البعض قولهم إنَّه لو أردنا أنْ نأتيَ بمثله لفعلنا: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأوَّلِينَ**﴾[٢٥]. ولكن القرآن تحدّاهم بصورٍ متعدّدة منها قوله تعالى: ﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾[٢٦].

والصورة الأخرى هي أنَّه تحدّاهم أنْ يأتوا بعشر سور مثله: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللّهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾[٢٧].

والصورة الثالثة هي أنَّه تحدّاهم أنْ يأتوا بسورة مثله: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾[٢٨].

وآية أخرى تتحدّى: ﴿**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ**

(٢٤) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

(٢٥) سورة الأنفال، الآية: ٣١.

(٢٦) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

(٢٧) سورة هود الآيتان: ١٣ ـ ١٤.

(٢٨) سورة يونس، الآية: ٣٨.

وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[٢٩].

هكـذا كان جوُّ المعارضة في القرآن، بحيث إنَّه لـو فكَّر إنسانٌ فيه فسوف يقطع بأنَّ هذا الكتاب منزلٌ مـن اللّه تعـالى، فهو حديث باللغة العربيَّة مكوّن من حروف وكلمات تستعمل في الحوار اليومي، إلا أنَّ أحـداً لا يستطيع أنْ يأتي بسورة مثله مكوّنة مـن سطر واحد، لذا كان القرآن الكريم معجزة الرسول الكبرى والخالدة.

وجوه إعجاز القرآن

القـرآن الكـريم يؤكد أنَّـه معجزة وأنّه لا يمكن الإتيـان بمثله على الإطلاق. وقد كتبـت مؤلّفات لهذا الغرض، ولكن نشير إجمالاً إلى وجوه إعجاز القرآن:

مـن جملة وجوه إعجازه، بلاغته. والبلاغة هي صياغة الكلام بحيث يتفق مع مقتضى الحال، ويؤدِّي أهـدافَ القائل على أفضل وجه. فالبلاغةُ لا تقتصر على اختيار الكلمات الجميلة والجذَّابة، وإنَّما لا بد بالإضافة إلى ذلك من الأخذ بعين الاعتبار هدف القائل ووضع السَّامع. ولما كان اللّه تعالى يعرف هدفه أفضل من الجميع ويعرف وضع عباده أحسن من كلّ أحد، وهو المحيط بكلِّ التركيبات اللغوية، فإنَّـه تعـالى يستطيع بيان هدفه على أساس ما تقتضيه حال عباده وبأفضل وجه ممكن، أمّا الآخرون فهـم محرومون من مثل هذه الخصائص. والشاهـد على كونه إعجازاً، أنَّه لم يستطع أحد على طول التاريـخ أنْ يأتـيَ بمثله مع وجـود كلِّ هذا التراث الأدبي والبلاغي، الضَّخـم ووجود كلِّ الدواعي التي تحمـل علـى المعارضة، فكلّمـا صاغ إنسانٌ ما كلاماً وجـده المطّلعون وذوو الخـبرة أخفض منزلة من القرآن.

ومـن وجوه إعجاز القرآن أيضاً عدم وجـود الاختلاف فيه: قال تعالى: **﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّـرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِـنْ عِنـدِ غَـيْرِ اللّهِ لَوَجَـدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِـيرًا﴾**[٣٠]. فلو كان الكلامُ صـادراً من إنسانٍ لوُجِدَ فيـه الاختـلاف، لأنَّ الإنسان كجميع الموجودات المادّية في حالة تغيُّرٍ دائم ومستمر، فهو يخضع لتأثير العوامـل المحيطة المختلفة فيتكامل وتزداد معلوماته وتتغيَّر حالاته، كلُّ هذه الأمور تؤثّر في كلامه فلا يستطيـع أنْ يحافـظ على لون واحد من الـكلام والبلاغة طيلة عمره. فتـارة ينخفض مستوى كلامه وأخرى يرتفع.

(٢٩) سورة البقرة، الآيتان: ٢٣ ـ ٢٤.

(٣٠) سورة النساء، الآية: ٨٢.

ومن وجوه إعجاز القرآن أيضاً أنّ حامله شخص لم يتلقّ درساً من العلماء، وكانت طريقته في الحديث مثل سائر النَّاس: ﴿**فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ**﴾[٣١] ثمَّ فجأة يظهر هذا الكلام المنقطع النظير الـذي لا يمكـن مقارنته بأحاديث النبيّ ﷺ بعـد البعثة، وإن كانت بحدِّ ذاتهـا في مستوىً رفيع من حيث البلاغة والفصاحة. قال تعالى: ﴿**قُل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّـن قَبْلِـهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾[٣٢]. فالرسولُ ﷺ يريد أنْ يقول لأمّته إنَّني قد عشت معكم كلَّ هذا العمـر ولم تلاحظوا صدور مثل هـذا الكلام منّي وبعد أربعين عاماً مـن عمري لاحظتم صدور كلام يختلف عن كلامي السابق، فلو لم يكن من الله لوجدتم أنَّه مثل كلامي: ﴿**وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾[٣٣].

ومـن أهمّ وجوه إعجـازه أنَّه كتابٌ جامعٌ لـكلِّ مراتب الهداية، وهو كتاب التربيـة الذي يلامس عمق الفطـرة الإنسانية ويرتفع بهـا إلى أعلى علّيّين، في مختلف أبعاد الإنسـان وكل ما يحتاجه في حياته. فالإنسـان يستحيل عليه أنْ يكـون ملمّاً بجميع المعارف العقائدية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية والعسكرية وكلّ ما يحتاجه الإنسان في حياته، وقد ثبت عملياً أنَّ الإنسان إذا أراد أنْ يتقدّم في مجال مـا، لا بـدَّ أنْ يُنفق كلّ عمره في اتجاه واحد، حتَّـى يتخصَّص فيه ويلمّ بمعظم جوانبه، وأمّا أنْ يُحيط الإنسـان بجميع التخصّصـات والمجالات وينظر بشأنهـا أيضاً، فهو الإعجاز بعينـه والدليل على أنَّه مرتبط بالله العالم بكل شيء.

ومنهـا أيضـاً، أنَّ انفعـال الأذواق المتغـيّرة عبر العصور وشعـور النَّاس بأنـه يخاطبهم في عصرهم ومشاكلهـم وخصوصيّاتهم دائماً هو دليل إعجاز بنفسـه. وأيضاً اعتراف النَّاس والعلماء والمفسّرين بعجزهم عن الإحاطة التامّة به، مع أنَّ كلّ واحدٍ منهم يرى فيه ريّاً لعطشه الذي لا ينتهي.

ومـن وجـوه الإعجاز الأخرى إتيانه بمواضيع علمية لم تكن مقبولـة في ذلك الزمان، من قِبَلِ المحافل العلمية، ثمَّ تقدّمت بعد ذلك وأثبتت صحتها.

---

(٣١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٣٢) سورة يونس، الآية: ١٦.

(٣٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٨.

ومن وجوه إعجاز القرآن إخباره بالغيب، وتنقسم هذه الأخبار إلى قسمين: قسم منها يتعلَّق بالحوادث الماضيــة التــي لم يكن لأحد من النَّاســ سبيل إليها: ﴿**ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ**﴾(٣٤).

والقســم الآخــر يتعلَّقُ بالأحداث التي ستقع في المستقبــل منها قوله تعالى: ﴿**غُلِبَتِ الرُّومُ ❖ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ**﴾(٣٥). ﴿**لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾(٣٦).

خلاصة الدرس

١. الإنســان ليس بمقدوره الاهتداء إلى طريــق الله بواسطة الحواس والعقل لقصورهما وعجزهما، لذا كانت الحاجة إلى طريق آخر غيبيّ، وهذا الطريق هو طريق الوحي والنُّبوَّة.

٢. للمعجــزة علامتــان أساسيّتان هما: أنّها غير قابلة للتعلّم والتعليــم، وأنّه لا يمكن أنْ يتغلّب عليها أيُّ عامل آخر.

٣. كونُ الإسلام رسالة أبدية عالمية، وكون دعوة النبيّ ﷺ ونبوّته لجميع البشر، فهي غيرُ محدَّدةٍ بمكان خاص وزمان خاص، لأجل هذا كان القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة.

٤. لإعجــاز القــرآن أوجه عديدة منه، البلاغة المنقطعة النظير، عدم وجــود أي اختلاف أو تناقض فيــه، أنَّ حاملــه لم يتلــقّ درساً في حياته علــى أحد، وأنه جامع لــكلِّ مراتب الهدايــة وفيه كلّ ما يحتاجــه الإنسان بحيــث إنَّ كلَّ واحد يجد فيه ريَّاً لعطشه، إخبــاره بالغيب في موارد كثيرة سواء التي حصلت أو التي سوف تحصل، إتيانه بمواضيع علمية لم تكن معروفةً سابقاً.

(٣٤) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

(٣٥) سورة الروم، الآيتان: ٢ – ٣.

(٣٦) سورة الفتح، الآية: ٢٧.

٤

الدرس الرابع

فضل القرآن وتلاوته

الدرس الرابع

فضل القرآن وتلاوته

أهداف الدرس

١. أن يتبين الطالب فضل القرآن في القرآن.

٢. أن يتبين فضل القرآن في كتاب العترة.

٣. أن يتعرف إلى صفة القرآن الكريم.

من الخير أن يقف الإنسان دون ولوج هذا الباب، وأن يتصاغر أمام هذه العظمة، وقد يكون الاعتراف بالعجز خيراً من المضيّ في البيان.

ماذا يقول الواصف في عظمة القرآن، وعلوّ كعبه؟ وماذا يقول في بيان فضله، وسموّ مقامه؟ وكيف يستطيع الممكن أن يدرك مدى كلام الواجب؟ وماذا يكتب لكاتب في هذا الباب؟ وبمَ يتفوّه الخطيب؟ وهل يصف المحدود إلّا محدوداً؟

القرآن في القرآن

وحسبُ القرآن عظمة، وكفاه منزلةً وفخراً أنّه كلام الله العظيم، ومعجزة نبيّه الكريم، وأنّ آياته هي المتكفّلة بهداية البشر في جميع شؤونهم وأطوارهم في أجيالهم وأدوارهم، وهي الضمينة لهم بنيل الغاية القصوى والسعادة الكبرى في العاجل والآجل: **﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾**(٣٧).

﴿الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾(٣٨).

﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾(٣٩).

---

(٣٧) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٣٨) سورة إبراهيم، الآية: ١.

(٣٩) سورة آل عمران، الآية: ١٣٨.

القرآن في كلام العترة

وقد ورد في الأثر عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»[٤٠].

نعم من الخير أن يقف الإنسان دون ولوج هذا الباب، وأن يَكِلَ بيان فضل القرآن إلى نظراء القرآن أهل البيت عليهم السلام، فإنّهم أعرف الناس بمنزلته، وأدلّهم على سموّ قدره، وهم قرناؤه في الفضل، وشركاؤه في الهداية، أمّا جدّهم الأعظم فهو الصادع بالقرآن، والهادي إلى أحكامه، والناشر لتعاليمه. وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[٤١]. فالعترة هم الأدلّاء على القرآن، والعالمون بفضله.

فمن الواجب أن نقتصر على أقوالهم، ونستضيء بإرشاداتهم. ولهم في فضل القرآن أحاديث كثيرة جمعها شيخنا المجلسيّ في (البحار) المجلّد التاسع والثمانين منه. نذكر منها:

قال الحارث الهمدانيّ: «دخلت المسجد فإذا أناس يخوضون في أحاديث فدخلت على عليّ عليه السلام فقلت: ألا ترى أن أناساً يخوضون في الأحاديث في المسجد؟ فقال عليه السلام: قد فعلوها؟ قلت: نعم، قال عليه السلام: أما إنّي قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ستكون فتن، قلت: وما المخرج منها؟ قال عليه السلام: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم. هو الفصل ليس بالهزل، هو الّذي مَن تركه من جبّار قصمه الله، ومَن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله، فهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الّذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخْلَق عن كثرة الردّ، ولا تنقضي عجائبه.

وهو الّذي لم ينته الجنّ إذ سمعته أن قالوا: ﴿**إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا**﴾[٤٢]، هو الّذي من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أُجر، ومن دعا إليه هُديَ إلى صراط مستقيم»[٤٣].

---

(٤٠) بحار الأنوار، ج ١٩، ص ٦، صحيح الترمذي بشرح ابن العربي، ج ١١، ص ٤٧، أبواب فضائل القرآن.

(٤١) رواه الترمذي، ج ١٣، ص ٢٠٠ـ ٢٠١.

(٤٢) سورة الجن، الآية ١.

(٤٣) بحار الأنوار، ج٨٩، ص٢٤.

قبسات من الحديث

وفي الحديث مغازٍ جليلة يحسن أن نتعرّض لبيان أهمّها. يقول ﷺ: «فيه نبأ ما كان قبلكم. وخبر ما بعدكم» والّذي يحتمل في هذه الجملة وجوه:

الأوّل: أن تكون إشارة إلى أخبار النشأة الأخرى من عالَمي البرزخ والحساب والجزاء على الأعمال. ولعلّ هذا الاحتمال هو الأقرب، ويدلّ على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته: «فيه نبأ من كان قبلكم والحكم فيما بينكم وخبر معادكم».

الثاني: أن تكون إشارة إلى المغيّبات الّتي أنبأ عنها القرآن، ممّا يقع في الأجيال المقبلة.

الثالث: أن يكون معناها أنّ حوادث الأمم السابقة تجري بعينها في هذه الأمّة، فهي بمعنى قوله تعالى: ﴿**لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ**﴾[٤٤].

أمّا قوله ﷺ: «من تركه من جبّار قصمه الله» فلعلّ فيه ضماناً بحفظ القرآن من تلاعب الجبّارين، بحيث يؤدّي ذلك إلى ترك تلاوته وترك العمل به، وإلى جمعه من أيدي الناس كما صنع بالكتب الإلهيّة السابقة. فتكون إشارة إلى حفظ القرآن من التحريف. وهذا أيضاً هو معنى قوله في الحديث: «لا تزيغ به الأهواء» بمعنى لا تغيّره عمّا هو عليه، لأنّ معاني القرآن قد زاغت بها الأهواء فغيّرتها. وأشار الحديث إلى أن أبناء الأمّة لو رجعوا إلى القرآن في خصوماتهم، وما يلتبس عليهم في عقائدهم وأعمالهم لأوضح لهم السبيل، ولوجدوه الحكم العدل، والفاصل بين الحقّ والباطل.

فلو أقامت الأمّة حدود القرآن، واتّبعت مواقع إشاراته وإرشاداته، لعرفت الحقّ وأهله، وعرفت حقّ العترة الطاهرة الّذين جعلهم النبيّ ﷺ قرناء الكتاب، وأنّهم الخلفاء على الأمّة من بعده، ولو استضاءت الأمّة بأنوار معارف القرآن، لأمنت العذاب الواصب، ولما تردّت في العمى، ولا غشيتهم ليالي الضلال، ولا ضُيّع سهم من فرائض الله، ولا زلّت قدم عن الصراط السويّ، ولكنّها أبت إلّا الانقلاب على الأعقاب، واتّباع الأهواء، والانضواء إلى راية الباطل حتّى آل الأمر إلى أن يكفّر بعض المسلمين بعضاً، ويتقرّب إلى الله بقتله، وهتك حرمته، وإباحة ماله، وأيّ دليل على إهمال الأمّة للقرآن أكبر من هذا التشتّت العظيم؟!!

---

(٤٤) سورة االانشقاق، الآية: ١٩.

٥

الدرس الخامس

صفة القرآن

الدرس الخامس

صفة القرآن

عن أمير المؤمنين عليه السلام في صفة القرآن:

«ثمّ أنزل عليه الكتاب نوراً لا تُطفأ مصابيحه، وسراجاً لا يخبو توقّده، وبحراً لا يُدرك قعره، ومنهاجاً لا يضلّ نهجه، وشعاعاً لا يظلم ضوءه، وفرقاناً لا يُخمد برهانه، وتبياناً لا تُهدم أركانه، وشفاءً لا تُخشى أسقامه، وعزّاً لا تُهزم أنصاره، وحقّاً لا تُخذل أعوانه، فهو معدن الإيمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، وأثافيّ الإسلام وبنيانه، وأودية الحقّ وغيطانه، وبحر لا يُنزفه المنتزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون، ومنازل لا يضلّ نهجها المسافرون، وأعلام لا يعمى عنها السائرون، وآكام لا يجوز عنها القاصدون، جعله الله ريّاً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاجَّ لطرق الصلحاء، ودواءً ليس بعده داء، ونوراً ليس معه ظلمة، وحبلاً وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته، وعزّاً لمن تولّاه، وسلماً لمن دخله، وهدى لمن ائتمّ به، وعذراً لمن انتحله، وبرهاناً لمن تكلّم به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاجّ به، وحاملاً لمن حمله، ومطيّة لمن أعمله، وآيةً لمن توسّم، وجُنّة لمن استلأم، وعلماً لمن وعى، وحديثاً لمن روى وحكماً لمن قضى»[٤٥].

وقد استعرضت هذه الخطبة الشريفة كثيراً من الأمور المهمّة الّتي يجب الوقوف عليها، والتدبّر في معانيها. فقوله:

١. **«لا يخبو توقّده» خبت النار:** خمد لهبها. يريد بقوله هذا وبكثير من جمل هذه الخطبة أنّ القرآن لا تنتهي معانيه، وأنه غضّ جديد إلى يوم القيامة. فقد تنزل الآية في مورد أو في شخص أو في قوم، ولكنّها لا تختصّ بذلك المورد أو ذلك الشخص أو أولئك القوم، فهي عامّة المعنى.

عن أبي عبد الله عليه السلام: «إنّ القرآن حيّ لم يمت، وإنّه يجري كما يجري الليل والنهار، وكما تجري الشمس والقمر، ويجري على آخرنا كما يجري على أوّلنا»[٤٦].

---

(٤٥) نهج البلاغة، ج٢، ص١٧٨.

(٤٦) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٣٥، ص٤٠٤.

٢. **«ومنهاجاً لا يضلّ نهجه»:** إنّ القرآن طريق لا يضلّ سالكه، فقد أنزله الله تعالى هداية لخلقه، فهو حافظ لمن اتّبعه عن الضلال.

٣. **«وتبياناً لا تهدم أركانه»:** المحتمل في المراد من هذه الجملة أحد وجهين:

الأوّل: أنّ أركان القرآن في معارفه وتعاليمه، وجميع ما فيه من الحقائق. محكمة لا تقبل التضعضع والانهدام.

الثاني: أنّ القرآن بألفاظه لا يتسرّب إليه الخلل والنقصان، فيكون فيها إيماء إلى حفظ القرآن من التحريف.

٤. **«ورياض العدل وغدرانه»:** الرياض جمع روضة، وهي الأرض الخضرة بحسن النبات. العدل بمعنى الاستقامة، والغدران جمع غدير وهو الماء الّذي تغدره أي تنتجه السيول. معنى هذه الجملة: أنّ العدل بجميع نواحيه من الاستقامة في العقيدة والعمل والأخلاق قد اجتمع في الكتاب العزيز، فهو مجمع العدالة وملتقى متفرّقاتها.

٥. **«وأثافيّ الإسلام»:** الأثافيّ كأمانيّ جمع أثفيّة – بالضمّ والكسر – وهي الحجارة الّتي توضع عليها القدر. ومعنى ذلك: أنّ استقامة الإسلام وثباته بالقرآن كما أنّ استقامة القِدر على وضعها الخاص تكون بسبب الأثافيّ.

٦. **«وأودية الحقّ وغيطانه»:** يريد بذلك: أنّ القرآن منبت الحقّ، وفي الجملة تشبيه القرآن بالأرض الواسعة المطمئنّة، وتشبيه الحقّ بالنبات النابت فيها. وفي ذلك دلالة على أن المتمسّك بغير القرآن لا يمكن أن يصيب الحقّ، لأنّ القرآن هو منبت الحقّ، ولا حقّ في غيره.

٧. **«وبحر لا ينزفه المنتزفون»:** نزف ماء البئر: نزح كله. ومعنى هذه الجملة والجمل الّتي بعدها: أنّ المتصدّين لفهم معاني القرآن لا يصلون إلى منتهاه، لأنّه غير متناهي المعاني، بل وفيها دلالة على أنّ معاني القرآن لا تنقص أصلاً، كما لا تنضب العيون الجارية بالسقاية منها.

٨. «**وآكام لا يجوز عنها القاصدون**»: والآكام جمع أكم، كقصب، وهو جمع أكمة، كقصبة، وهي التلّ. والمـراد أنّ القاصدين لا يصلون إلى أعالي الكتـاب ليتجاوزوها. وفي هذا القول إشارة إلى أنّ للقرآن بواطن لا تصل إليها أفهام أولي الأفهام.

وقـد يكـون المراد أنّ القاصدين إذا وصلوا إلى أعاليه وقفـوا عندها ولم يطلبوا غيرها، لأنّهم يجدون مقاصدهم عندها على الوجه الأتمّ.

فضل قراءة القرآن

القـرآن هـو النـاموسـ الإلهيّ الّذي تكفّـل للناس إصلاح الديـن والدنيا، وضمن لهـم سعادة الآخرة والأولى، فـكلّ آيـة من آياته منبع فيّاض بالهداية ومعدن من معـادن الإرشاد والرحمة، فالّذي تروقه السعـادة الخالـدة والنجاح في مسالـك الدين والدنيا، عليـه أن يتعاهد كتاب الله العزيـز آناء الليل وأطـراف النهـار، ويجعل آياته الكريمة قيد ذاكرته، ومزاج تفكـيره، ليسير على ضوء الذكر الحكيم إلى نجـاح غير منصرم وتجارة لن تبور. وما أكثر الأحاديث الواردة عن أئمّة الهدى عليهم السلام وعن جدّهم الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في فضل تلاوة القرآن منها:

عـن الإمـام الصادق عليه السلام، قال: «القـرآن عهد الله إلى خلقـه، فقد ينبغي للمـرء المسلم أن ينظر في عهـده، وأن يقـرأ منه في كلّ يـوم خمسين آية»[٤٧] وقال عليه السلام: «ما يمنـع التاجر منكم المشغول في سوقـه إذا رجـع إلى منزله أن لا ينام حتّى يقرأ سورة من القرآن فيُكتب له مكان كلّ آية يقرأها عشر حسنـات، ويُمحى عنه عشر سيّئـات؟»[٤٨]. وقال: «عليكم بتلاوة القرآن، فإنّ درجات الجنة على عدد آيات القرآن، فإذا كان يوم القيامة يقال لقارئ القرآن: إقرأ وارقَ، فكلّما قرأ آية يرقى درجة»[٤٩].

وقـد جمعت كتـب الأصحاب من جوامع الحديث كثيراً من هذه الآثـار الشريفة من أرادها فليطلبها. وفي الجزء التاسع عشر من كتاب بحار الأنوار الشيء الكثير من ذلك.

(٤٧) الكافي، ج٢، ص٦٠٩.

(٤٨) م.ن، ج٢، ص٦١١.

(٤٩) الوسائل، الحرّ العاملي، ج٦، ص١٩٠.

القراءة في المصحف

دلّت جملة من الآثار على فضل القراءة في المصحف على القراءة عن ظهر القلب. ومن هذه الأحاديث قول إسحاق بن عمار للصادق عليه السلام: «جعلت فداك إنّي أحفظ القرآن عن ظهر قلبي فأقرأه عن ظهر قلبي أفضل أو أنظر في المصحف؟ قال: فقال لي: لا. بل أقرأه وانظر في المصحف فهو أفضل. أما علمت أنّ النظر في المصحف عبادة؟»[٥٠].

وقال عليه السلام: «من قرأ القرآن في المصحف مُتّع ببصره، وخُفِّف عن والديه وإن كانا كافرين»[٥١].

وفي الحثّ على القراءة في نفس المصحف نكتة جليلة ينبغي الالتفات إليها، وهي أنّه لو اكتُفيَ بالقراءة عن ظهر القلب لهُجرت نسخ الكتاب، وأدّى ذلك إلى قلّتها، ولعلّه يؤدّي أخيراً إلى انمحاء آثارها.

على أنّ هناك آثاراً جزيلة نصّت عليها الأحاديث لا تحصل إلّا بالقراءة في المصحف، منها قوله: «متّع ببصره» وهذه الكلمة من جوامع الكلم، فيراد منها أنّ القراءة في المصحف سبب لحفظ البصر من العمى والرمد، أو يراد منها أنّ القراءة في المصحف سبب لتمتّع القارئ بمغازي القرآن الجليلة ونكاته الدقيقة، لأنّ الإنسان عند النظر إلى ما يروقه من المرئيّات تبتهج نفسه، ويجد انتعاشاً في بصره وبصيرته.

وكذلك قارئ القرآن إذا سرّح بصره في ألفاظه، وأطلق فكره في معانيه وتعمّق في معارفه الراقية وتعاليمه الثمينة يجد في نفسه لذّة الوقوف عليها، ومتعة الطموح إليها، ويشاهد هشّة من روحه وتطلّعاً من قلبه.

فضل القراءة في البيوت

وقد أرشدتنا الأحاديث الشريفة إلى فضل القراءة في البيوت. ومن أسرار ذلك إذاعة أمر الإسلام، وانتشار قراءة القرآن، فإنّ الرجل إذا قرأه في بيته قرأته المرأة، وقرأه الطفل، وذاع أمره وانتشر.

(٥٠) الكافي، ج٢، ص٦١٤.

(٥١) هذه الروايات في أصول الكافي، كتاب فضل القرآن، ج٢، ص٥٩٦.

أمّـا إذا جعـل لقراءة القرآن أماكن مخصوصة فإنّ القراءة لا تتهيّأ لكلّ أحد، وفي كلّ وقت، وهذا من أعظـم الأسباب في نشر الإسلام. ولعلّ من أسـراره أيضاً إقامة الشعار الإلهيّ، إذا ارتفعت الأصوات بالقراءة في البيوت بكرة وعشيّاً، فيعظم أمر الإسلام في نفوس السامعين لما يعروهم من الدهشة عند ارتفاع أصوات القراء في مختلف نواحي البلد.

ومـن آثار القراءة في البيوت مـا ورد في الأحاديث: «إنّ البيت الّذي يُقرأ فيه القرآن ويُذكر الله تعالى فيـه تكـثر بركته، وتحضره الملائكـة، وتهجره الشياطين، ويضـيء لأهل السماء كمـا يضيء الكوكب الـدرّيّ لأهل الأرض، وإنّ البيت الّذي لا يُقرأ فيه القرآن، ولا يُذكر الله تعالى فيه تقلّ بركته، وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين»[٥٢].

خلاصة الدرس

- القرآن كلام الله العظيم، ومعجزة نبيّه الكريم وهو الضامن للبشر بنيل الغاية القصوى والسعادة الكبرى في العاجل والآجل. يقول تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾[٥٣].
- وعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه».
- هناك العديد من الآيات الكريمة الّتي تتحدّث عن فضل القرآن، كما أنّ هنـاك الكثير من الروايات الواردة عن الرسول والعترة الطاهرة عليهم السلام.
- إنّ أبنـاء الأمّـة لو رجعوا إلى القـرآن في خصوماتهم، وما يلتبس عليهـم في عقائدهم وأعمالهم لأوضح لهم السبيل. ولوجدوه الحكم العدل، والفاصل بين الحقّ والباطل.
- القـرآن هو الناموس الإلهيّ الّذي تكفّل للناس إصـلاح الدين والدنيا، وضمن لهم سعادة الآخرة والأولى، فكلّ آية من آياته منبع فيّاض بالهداية ومعدن من معادن الإرشاد والرحمة.
- وقـد دلّـت جملة من الأخبار على فضل القـراءة في المصحف على القراءة عـن ظهر القلب. كما أرشدتنا الأحاديث الشريفة إلى فضل القراءة في البيوت وتعاهد كتاب الله بالتلاوة الدائمة.

---

(٥٢) الكافي، ج٢، ص ٤٩٩.

(٥٣) سورة الاسراء، الآية: ٩.

للمطالعة

ما تكلّمَتْ إلّا بالقرآن

قال بعضهم: انقطعت في البادية عن القافلة فوجدت امرأة، فقلت لها: من أنت؟ فقالت **﴿وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾** [٥٤] فسلّمت عليها، فقلت: ما تصنعين ههنا؟ قالت: **﴿وَمَن يَهْدِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ﴾** [٥٥] فقلت: أمن الجنّ أنت أم من الإنس؟ قالت: **﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ﴾** [٥٦] فقلت: من أين أقبلت؟ قالت: **﴿يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾** [٥٧] فقلت: أين تقصدين؟ قالت: **﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾** [٥٨] فقلت: متى انقطعت؟ قالت: **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾** [٥٩] فقلت: أتشتهين طعاماً؟ فقالت: **﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾** [٦٠]. فأطعمتها، ثم قلت: هرولي ولا تعجلي، قالت: **﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾** [٦١]. فقلت: أردفك؟ فقالت: **﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾** [٦٢]. فنزلت فأركبتها، فقالت: **﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا﴾** [٦٣]. فلما أدركنا القافلة قلت: ألك أحد فيها؟ قالت: **﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾** [٦٤]. **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ﴾** [٦٥].

---

(٥٤) سورة الزخرف، الآية: ٨٩.

(٥٥) سورة الزمر، الآية: ٣٧.

(٥٦) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

(٥٧) سورة فصّلت، الآية: ٤٤.

(٥٨) سورة آل عمران، الآية:٩٧.

(٥٩) سورة ق، الآية: ٣٨.

(٦٠) سورة الأنبياء، الآية: ٨.

(٦١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٦٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

(٦٣) سورة الزخرف، الآية: ١٣.

(٦٤) سورة ص، الآية: ٢٦.

(٦٥) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ﴾[٦٦]. **﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾**[٦٧]. فصحت بهذه الأسماء، فإذا أنا بأربعة شباب متوجّهين نحوها، فقلت: من هؤلاء منك؟ قالت: **﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾**[٦٨]. فلم أتوها قالت: **﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾**[٦٩]. فكافوني بأشياء فقالت: **﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾**[٧٠]. فزادوا عليّ، فسألتهم عنها.

فقالوا: هذه أمّنا فضّة جارية الزهراء عليها السلام ما تكلّمت منذ عشرين سنة إلّا بالقرآن[٧١].

---

(٦٦) سورة مريم، الآية: ١٢.

(٦٧) سورة طه، الآيات: ١١ ـ ١٣.

(٦٨) سورة الكهف، الآية: ٤٦.

(٦٩) سورة القصص، الآية: ٢٦.

(٧٠) سورة البقرة، الآية: ٢٦١.

(٧١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٤٣، ص ٨٦ ـ ٨٧.

٦

الدرس السادس

الآداب الظاهريّة لتلاوة القرآن

الدرس السادس

الآداب الظاهريّة لتلاوة القرآن

أهداف الدرس

١. أن يتعرّف الطالب إلى أجر القارئ للقرآن الكريم.

٢. أن يعدّد الآداب الظاهريّة لتلاوة القرآن.

تمهيد

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ**﴾[٧٢].

لا غنى للمسلم عن مصاحبة القرآن وتلاوته، حيث يعيش الإنسان فيه مع الله تعالى ويقتبس من نوره. والتلاوة عبادة يُثاب عليها المؤمن ويؤجر على كلّ حرف يقرأه. ولكن كيف نقرأ القرآن، وكيف نستفيد من آياته؟ هل نقرؤه لمجرّد التلاوة؟ أم نقرأه لنجعله نوراً لنا في ظلمات الجهل والدنيا يسدّد وجهتنا ويحسّن مسلكنا؟ ألم يقرع أسماعنا قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كم من تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه لأنّه أقام حروفه وضيّع حدوده؟»[٧٣].

والأجر يتفاوت على قدر ما في التلاوة من تدبّر، وعلى قدر ما يؤدّي التدبّر إلى الغاية المطلوبة والهدف المراد الّذي يشير إليه تعالى في قوله: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾[٧٤].

---

(٧٢) سورة فاطر، الآية: ٢٩.

(٧٣) البحار، ج٨٩، ص١٨٤

(٧٤) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

فالمطلـوب أن تتحوّل تلاوة القرآن والاستماع لآياته إلى تأثّر وخشوع وخضوع لحضرة الباري سبحانه وتعالى يتجلّى في مقام العمل هدياً وسلوكاً والتزاماً بأوامر الله عزَّ وجلَّ ونواهيه.

وقـد تعرّفنا في الدرس السابـق إلى فضل القرآن وفضل تلاوته، فيا ترى كيف تكون هذه التلاوة؟ وما هي شروطها؟ وكيف نحصّل الغاية القصوى من منافعها؟

القرآن نور

ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «نوّروا بيوتكم بتلاوة القرآن»(٧٥).

وفي المواظبة على التلاوة ورد عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من قرأ عشر آيات في ليلة لم يُكتب من الغافلين، ومن قرأ خمسين آية كُتب من الذاكرين، ومن قرأ مائة أية كُتب من القانتين، ومن قرأ مائتي آية كُتب من الخاشعين، ومن قرأ ثلاثمائة آية كُتب من الفائزين، ومن قرأ خمسمائة آية كُتب من المجتهدين، ومن قرأ ألف آية كُتب له قنطار من تبر...»(٧٦).

ولا شكّ أنّ هذا الأجر المذكور ليس لمن يقرأ القرآن ويمرّ عليه مروراً دون أن يتأثّر به قلباً وقالباً، فإذا عرض عليه عارض من الدنيا نسي القرآن وصاحب القرآن، نعوذ بالله من ذلك، بل الأجر لمن قرأ وتدبّر بتأدّب وتأمّل وعلم أنّ الّذي يخاطبه هو الله سبحانه الّذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. من هنا كان حقيقاً علينا أن نلتفت ونهتمّ ببعض الآداب الّتي ينبغي أن تقترن بتلاوتنا للقرآن، ونرجو من خلالها أن يكون تعبّدنا هذا موضعاً للقبول من حضرة الباري سبحانه وتعالى. وقد ذُكرت آداب متعدّدة لتلاوة القرآن بعضها يُعدّ ظاهريّاً وبعضها باطنيّاً، وفي هذا الدرس ستتعرّف للآداب الظاهريّة، وهي كثيرة، على رأسها:

١. الطهارة:

والمقصود بالطهارة الخلوّ من الحدث الأكبر والأصغر بالوضوء أو الغسل أو التيمّم بدلاً عنهما. وقد جعل المولى ثواب قراءة القرآن ثواباً مضاعفاً، ففي الحديث: «من استمع القرآن كتب له بكلّ حرف

---

(٧٥) الكافي، الكليني، ج٢، ص٦١٠.

(٧٦) م.ن، ج٢، ص٦١٢.

حسنة ومن قرأ على وضوء كان له بكلّ حرف خمس وعشرون حسنة»(٧٧).

وقد صرّح الفقهاء بكراهة قراءة ما زاد على سبع آيات للجنب، مضافاً إلى حرمة قراءته آيات السجدة من سور العزائم الأربع: «العلق» و«النجم» و«فصّلت» و«السجدة».

٢. تنظيف الفم:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّي لأحبّ للرجل إذا قام بالليل أن يستاك وأن يشمّ الطيب فإنّ الملك يأتي الرجل إذا قام بالليل حتّى يضع فاه على فيه، فما خرج من القرآن من شيء دخل جوف ذلك الملك»(٧٨).

فالفم هو طريق القرآن، ولا يليق بطريق القرآن إلّا أن يكون طيّباً نظيفاً؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «نظّفوا طريق القرآن» قيل: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وما طريق القرآن؟ قال: «أفواهكم» قيل: بماذا؟ قال: «بالسواك»(٧٩).

وفي حديث آخر: «طيّبوا أفواهكم بالسواك فإنّها طرق القرآن».(٨٠)

٣. استقبال القبلة والإقبال التامّ على التلاوة:

ينبغي لقارىء القرآن أن يستقبل القبلة، ويجلس بتأدّب وخشوع، ويقبل على التلاوة متفرّغاً لها، وقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «قارىء القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء: قلب خاشع، وبدن فارغ، وموضع خالٍ. فإذا خشع لله قلبه فرّ منه الشيطان الرجيم»(٨١).

٤. البدء بالاستعاذة:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾(٨٢).

---

(٧٧) الفصول المهمّة، الحر العاملي، ج٣، ص٣٢٠.

(٧٨) المحاسن، ص٥٥٩، والبحار، ج٧٧، ص٣٤٣.

(٧٩) م.ن. ص٥٥٨.

(٨٠) ميزان الحكمة، ج٢، ص١٣٩٧.

(٨١) مستدرك الوسائل، ج٤، ص٢٤١.

(٨٢) سورة النحل، الآية: ٩٨.

مـن كمـال الأدب أن يشـرع القـارئ في القـراءة بالاستعاذة، ويقصد بهـا تطهير القلب مـن تلوّثات الوسوسة الصارفة عن ذكر الله تعالى.

وختـم القراءة بقوله: صـدق الله العليّ العظيم. ويدعو بالمأثور في بدء التـلاوة وبعد الفراغ منها كما كان يفعل الأئمّة عليهم السلام.

٥. قراءة القرآن في المصحف:

وفي بعض الروايـات مـا يفيـد أفضليّـة قـراءة القـرآن مطالعـة علـى قراءتـه حفظـاً. وتظهـر هـذه الأفضليّـة في الآثـار المترتّبـة، وقـد ذكرنـا في الدرس السابـق بعضـاً منهـا ونضيـف مـا ورد عـن الرسـول الأعظـم صلى الله عليه وآله وسلم: «أفضـل عبـادة أمّتـي تـلاوة القـرآن نظـراً»[٨٣][١٢].

٦. الترتيل بصوت حسن:

قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا﴾[٨٤].

والترتيل هو بيان الحروف وإظهارها وحفظ الوقوف.

والمـراد بحفـظ الوقوف أن لا يقف القارئ كيفما كان، بل يقف حيث يكون الوقف حسناً. والمراد ببيان الحروف أن يُخرج الحروف كما ينبغي من جهر وهمس وإطباق واستعلاء على ما ذكره علماء التجويد.

والترتيل كما في بيان الإمام الصادق عليه السلام هو: «أن تتمكّث فيه وتحسّن به صوتك»[٨٥].

فتقـرأ بإمعـان من غير استعجال بحيث لو أراد السامع أن يعدّ الحروف لأوشك أن يعدّها. وتحسّن به الصوت في خشوع وخشية.

وقال عليه السلام أيضاً: «زيّنوا القرآن بأصواتكم»[٨٦].

والمقصود من حسن الصوت ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الّذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله»[٨٧].

---

(٨٣) المحجة البيضاء، ج٢، ص٢٣١.

(٨٤) سورة المزمل: الأية ٤.

(٨٥) بحار الأنوار، ج٨٩، ص١٩١.

(٨٦) ميزان الحكمة، ج٣، ص٢٥٢٥.

(٨٧) م. ن. ج٣، ص٢٥٢٥.

ويستفـاد مـن الروايات أنّ الصوت الحسن يترك أثراً في قلب القـارئ والمستمع على حدّ سواء، الأمر الّذي يساهم في تليين القلوب القاسية، فإنّ كلام الله شفاء من كل مرض قلبيّ.

خلاصة الدرس

- لا غنى للمسلم عن مصاحبة القرآن وتلاوته، حيث يعيش الإنسان فيه مع الله تعالى ويقتبس من نـوره. والتـلاوة عبادة يثاب عليها المؤمن ويؤجر على كلّ حرف يقـرأه. فللقراءة القرآنيّة آداب لا بـدّ أن نلتزم بها حتّى نحصّل أقصى درجات الأجر من الباري سبحانه وتعالى. وقد ذُكرت آداب متعدّدة لتلاوة القرآن بعضها يُعدّ ظاهريّاً وبعضها باطنيّاً.
- والآداب الظاهريّة كثيرة، على رأسها:

١. الطهارة.

٢. تنظيف الفم.

٣. استقبال القبلة والإقبال التام على التلاوة.

٤. البدء بالاستعاذة.

٥. قراءة القرآن في المصحف.

٦. الترتيل بصوت حسن.

للمطالعة

القرآن وأسرار الخليقة

أخبر القرآن الكريم في غير واحدة من آياته عمّا يتعلّق بسنن الكون، ونواميس الطبيعة، والأفلاك، وغيرها ممّا لا سبيل إلى العلم به في بدء الإسلام إلّا من ناحية الوحي الإلهيّ. وبعض هذه القوانين وإن علم بها اليونانيّون في تلك العصور أو غيرهم ممّن لهم سابق معرفة بالعلوم، إلّا أنّ الجزيرة العربيّة كانت بعيدة عن العلم بذلك. وإنّ فريقاً ممّا أخبر به القرآن لم يتّضح إلّا بعد توفّر العلوم، وكثرة الاكتشافات. وهذه الأنباء في القرآن كثيرة.

وقد أخذ القرآن بالحزم في إخباره عن هذه الأمور، فصرّح ببعضها حيث يحسن التصريح، وأشار إلى بعضها حيث تحمد الإشارة، لأنّ بعض هذه الأشياء ممّا يستعصي على عقول أهل ذلك العصر، فكان من الرشد أن يشير إليها إشارة تتّضح لأهل العصور المقبلة حين يتقدّم العلم، وتكثر الاكتشافات.

ومن هذه الأسرار الّتي كشف عنها الوحي السماويّ، وتنبّه إليها المتأخّرون ما في قوله تعالى: ﴿**وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ**﴾[٨٨].

فقد دلّت هذه الآية الكريمة على أن كلّ ما ينبت في الأرض له وزن خاصّ، وقد ثبت أخيراً أنّ كل نوع من أنواع النبات مركّب من أجزاء خاصّة على وزن مخصوص، بحيث لو زيد في بعض أجزائه أو نقص لكان ذلك مركّباً آخر. وإن نسبة بعض الأجزاء إلى بعض من الدقّة بحيث لا يمكن ضبطها تحقيقاً بأدقّ الموازين المعروفة للبشر.

ومن الأسرار الغريبة الّتي أشار إليها الوحي الإلهيّ حاجة إنتاج قسم من الأشجار والنبات إلى لقاح الرياح. فقال سبحانه: ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ**﴾[٨٩].

---

(٨٨) سورة الحجر، الآية: ١٩.

(٨٩) سورة الحجر، الآية: ٢٢.

فإنّ المفسّرين الأقدمين وإن حملوا اللّقاح في الآية الكريمة على معنى الحمل، باعتبار أنّه أحد معانيه، وفسّروا الآية المباركة بحمل الرياح للسحاب، أو المطر الّذي يحمله السحاب، ولكنّ التنبيه على هذا المعنى ليس فيه كبير اهتمام، ولا سيّما بعد ملاحظة أنّ الرياح لا تحمل السحاب، وإنّما تدفعه من مكان إلى مكان آخر.

والنظرة الصحيحة في معنى الآية بعد ملاحظة ما اكتشفه علماء النبات تفيدنا سرّاً دقيقاً لم تدركه أفكار السابقين، وهو الإشارة إلى حاجة إنتاج الشجر والنبات إلى اللّقاح، وأنّ اللّقاح قد يكون سببه الرياح، وهذا كما في المشمش والصنوبر والرمّان والبرتقال والقطن، ونباتات الحبوب وغيرها، فإذا نضجت حبوب الطلع انفتحت الأكياس، وانتثرت خارجها محمولة على أجنحة الرياح فتسقط على مياسم الأزهار الأخرى عفواً.

وقد أشار سبحانه وتعالى إلى أنّ سنّة الزواج لا تختصّ بالحيوان، بل تعمّ النبات بجميع أقسامه بقوله: ﴿**وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ**﴾(٩٠).
﴿**سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ**﴾(٩١).
ومن الأسرار الّتي كشف عنها القرآن هي حركة الأرض، فقد قال عزَّ من قائل: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا**﴾(٩٢).

تأمّل كيف تشير الآية إلى حركة الأرض إشارة جميلة لم تتّضح إلّا بعد قرون، وكيف تستعير للأرض لفظ المهد الّذي يُعمل للرضيع، يهتزّ بنعومة لينام فيه مستريحاً هادئاً، وكذلك الأرض مهد للبشر وملائمة لهم من جهة حركتها الوضعيّة والانتقاليّة. وكما أنّ تحرّك المهد لغاية تربية الطفل واستراحته، فكذلك الأرض، فإنّ حركتها اليوميّة والسنويّة لغاية تربية الإنسان بل وجميع ما عليها من الحيوان والجماد والنبات. تشير الآية المباركة إلى حركة الأرض إشارة جميلة، ولم تصرّح بها لأنّها نزلت في زمان أجمعت عقول البشر فيه على سكونها، حتّى أنّه كان يعدّ من الضروريّات الّتي لا تقبل التشكيك.

---

(٩٠) سورة الرعد، الآية: ٣.

(٩١) سورة يس، الآية: ٣٦.

(٩٢) سورة طه، الآية: ٥٣، وسورة الزخرف، الآية: ١٠.

ومـن الأسـرار الّتي كشف عنها القـرآن قبل أربعة عشر قرنـاً: وجود قارّة أخرى. فقـد قال سبحانه وتعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾[٩٣].

وهـذه الآيـة الكريمة قد شغلـت أذهان المفسّرين قرونـاً عديدة، وذهبوا في تفسيرهـا مذاهب شتّى. فقـال بعضهم: المراد مشرق الشمس ومشرق القمر ومغرباهما، وحمله بعضهم على مشرقَيّ الصيف والشتاء ومغربيّهما. ولكنّ الظاهر أنّ المراد بها الإشارة إلى وجود قارّة أخرى تكون على السطح الآخر للأرض يلازم شروق الشمس عليها غروبها عنّا، وذلك بدليل قوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾[٩٤].

فـإنّ الظاهر من هذه الآيـة أنّ البعد بين المشرقين هو أطول مسافـة محسوسة فلا يمكن حملها على مشرقَـي الشمس والقمر ولا علـى مشرقي الصيف والشتاء، لأنّ المسافة بين ذلك ليست أطول مسافة محسوسـة، فلا بدّ من أن يراد بهـا المسافة الّتي ما بين المشرق والمغرب. ومعنى ذلك أن يكون المغرب مشرقـاً لجـزء آخر من الكرة الأرضيّة ليصحّ هذا التعبير، فالآية تدلّ على وجود هذا الجزء الّذي لم يُكتشف إلّا بعد مئات من السنين من نزول القرآن.

فالآيات الّتي ذكرت المشرق والمغرب بلفظ المفرد يراد منها النوع كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[٩٥].

والآيـات الّتـي ذكرت ذلك بلفظ التثنية يراد منها الإشارة إلى القارّة الموجودة على السطح الآخر من الأرض.

والآيـات الّتي ذكرت ذلك بلفظ الجمع يراد منها المشارق والمغارب باعتبار أجزاء الكرة الأرضيّة كما نشير إليه[٩٦].

---

(٩٣) سورة الرحمن، الآية: ١٧.

(٩٤) سورة الزخرف، الآية: ٣٨.

(٩٥) سورة البقرة، الآية: ١١٥.

(٩٦) البيان في تفسير القرآن، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، ص٧٠ – ٧٤.

٧

الدرس السابع

الآداب الباطنية لتلاوة القرآن

الدرس السابع

الآداب الباطنية لتلاوة القرآن

أهداف الدرس

أن يتعرف الطالب إلى الآداب الباطنية لتلاوة القرآن.

تلاوة القرآن حقّ تلاوته:

قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ**﴾[٩٧].

فللقرآن حقّ علينا وينبغي أن نوفيه حقّه برعاية جملة من الآداب أثناء تلاوته والاستماع إليه. وفي تفسير الآية يقول الإمام الصادق عليه السلام: «يرتّلون آياته ويتفهّمون معانيه ويعملون بأحكامه ويرجون وعده ويخشون عذابه ويتمثّلون قصصه ويعتبرون أمثاله ويأتون أوامره ويجتنبون نواهيه..»[٩٨].

وأفضل التلاوة تلك الّتي تحقّق الهدف القرآنيّ الأوّل وهو الهداية، يقول تعالى: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾[٩٩].

ولحصول الهداية هناك أمور ينبغي مراعاتها، أهمّها:

١. الإخلاص في القراءة:

من الآداب المفيدة في تلاوة القرآن الكريم الإخلاص. وقد وردت بذلك روايات كثيرة. منها ما رُوي عن الإمام الباقر عليه السلام: «قرّاء القرآن ثلاثة: رجل قرأ القرآن فاتّخذه بضاعة واستدرّ به الملوك واستطال به على الناس. ورجل قرأ القرآن فحفظ حروفه وضيّع حدوده وأقامه إقامة القدح، فلا كثّر الله هؤلاء من حملة القرآن. ورجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه فأسهر به ليله وأظمأ

---

(٩٧) سورة البقرة، الآية: ١٢١.

(٩٨) ميزان الحكمة، ج٣، ص٢٥٢٦.

(٩٩) سورة البقرة، الآية: ٢.

به نهاره وقام به في مساجده وتجافى به عن فراشه فبأولئك يدفع الله العزيز الجبّار البلاء، وبأولئك يديل الله من الأعداء، وبأولئك ينزّل الله الغيث من السماء، فوالله لَهـؤلاء في قرّاء القرآن أعزّ من الكبريت الأحمر»[100].

٢. التدبّر في القرآن:

قال تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾[101].

فالقراءة الّتي لا تدبّر فيها لا خير فيها. قال تعالى: ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ**﴾[102].

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إنّي لأعجب كيف لا أشيب إذا قرأت القرآن»[103].

وجاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «ألا لا خير في علم ليس فيه تفهّم، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبّر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقّه»[104].

وعنه عليه السلام أنّه ذكر جابر بن عبد الله ووصفه بالعلم، فقال له رجل: جُعلت فداك، تصف جابراً بالعلم وأنت أنت؟ فقال عليه السلام: «إنّه كان يعرف تفسير قوله تعالى: إنّ الّذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد..»[105].

وعن الزهريّ قال سمعت عليّ بن الحسين عليه السلام يقول: «آيات القرآن خزائن العلم، فكلّما فتحت خزائنه فينبغي لك أن تنظر فيها»[106].

---

(١٠٠) أصول الكافي، ج٢، ص٦٠٤.

(١٠١) سورة محمد، الآية:٢٤.

(١٠٢) سورة الحديد، الآية: ١٦.

(١٠٣) ميزان الحكمة، ج٣، ص٢٥٣٢.

(١٠٤) بحار الأنوار، ج٢، ص٤٩.

(١٠٥) قريب منه في تفسير القمي، ج٢، ص١٤٧.

(١٠٦) بحار الأنوار، ج٩٢، ص٢١٩.

٣. التفكّر:

من الآداب المهمّة لقراءة القرآن التفكّر. وقد كثرت الدعوة إلى التفكّر في القرآن الشريف.

قال تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[١٠٧].

وقال تعالى: ﴿**فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[١٠٨].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

والروايات أيضاً في التفكّر كثيرة، فقد نُقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمّا نزلت الآية الشريفة: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ**﴾[١٠٩].

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكّر فيها»[١١٠].

٤. التأثّر والخشية:

قال تعالى: ﴿**قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ❖ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ❖ وَيَخِرُّونَ خُشُوعًا**﴾[١١١].

وهذه أحوال المستمع لتلاوة القرآن المتدبّر فيه فكيف بمن يتلوه بنفسه؟

قال تعالى: ﴿**لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللهِ**﴾[١١٢].

٥. البكاء والحزن:

فقد ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «من قرأ القرآن ولم يخضع لله ولم يرقّ قلبه ولا يكتسي حزناً ووجلاً في سرّه، فقد استهان بعظيم شأن الله تعالى، فانظر كيف تقرأ كتاب ربّك ومنشور ولايتك، وكيف تجيب

---

(١٠٧) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(١٠٨) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.

(١٠٩) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.

(١١٠) زبدة البيان، المحقّق الأردبيلي، ص١٤٠.

(١١١) سورة الإسراء، الآيات: ١٠٧ ـ ١٠٩.

(١١٢) سورة الحشر، الآية: ٢١.

أوامره ونواهيه وكيف تمتثل حدوده؟»[١١٣].

وورد في الخبر: «اقرأوا القرآن بالحزن»[١١٤].

وفي نهج البلاغة: «الله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم»[١١٥].

والقرآن كلام الحقّ ومن الأدب حين نقرأ هذا الكلام أن نكبره ونعظّمه؛ فلا نستهين بأوامره ونواهيه وإنذاره ووعيده وما ينبىء عنه من حقائق وأسرار.

فإنّ عظمة الله تعالى وقدرته المطلقة تجلّت لعباده في القرآن الكريم. ومن كمال الأدب ونحن نقرأ القرآن أن نستحضر الحزن في قلوبنا والدمعة في عيوننا، والخوف والشفقة في نفوسنا كما هو حال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حين كان يستمع إلى القرآن الكريم، فقد كانت عيناه تفيضان بالدمع. وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «ما من عين فاضت من قراءة القرآن إلّا قرّت يوم القيامة»[١١٦].

ومن لم يجد في نفسه خشية وانكساراً فليتباكَ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «اقرأوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا»[١١٧].

وعن أمير المؤمنين في وصف المتّقين «يُحزنون به أنفسهم ويستثيرون به دواء دائهم فإذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً، وتطلّعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنّوا أنّها نُصب أعينهم، وإذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وظنّوا أنّ زفير جهنّم وشهيقها في أصول آذانهم»[١١٨].

٦. التطبيق:

ومن الآداب المهمّة لقراءة القرآن الّتي تنيل الإنسان نتائج كثيرة واستفادة غير محدودة: التطبيق.

فمن أراد أن يأخذ من القرآن الشريف الحظّ الوافر فلا بدّ له أن يطبّق كلّ آية شريفة على حالات نفسه حتّى يستفيد استفادة كاملة، مثلاً يقول تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ**

(١١٣) البحار، ج٨٢، ص٤٣.

(١١٤) ميزان الحكمة، ج٣، ص٢٥٢٨.

(١١٥) نهج البلاغة، ج٣، ص٧٧.

(١١٦) ميزان الحكمة، ج٣، ص٢٥٢٩.

(١١٧) الأمالي، السيد المرتضى، ج١، ص٢٥.

(١١٨) نهج البلاغة، خطبة المتقين، ج٢، ص١٦١.

قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[١١٩].

فلا بدّ للسالك أن يلاحظ هذه الأوصاف الثلاثة منطبقة عليه، وهل قلبه يَجِلُ إذا ذُكر اللّه ويخاف؟ وإذا تُليت عليه الأيات الشريفة هل يزداد إيماناً في قلبه؟ وهل اعتماده وتوكّله على اللّه تعالى أم أنّه محروم من ذلك؟

فإذا كان محروماً فليسعَ لتحصيل هذه الصفات. وهكذا كلّ آية يمرّ عليها يطبّقها خارجاً، فالقرآن كتاب تطبيق لا كتاب ترتيل فحسب.

فكما أنّ خُلُق الرسول كان القرآن، فينبغي على القارئ المؤمن أن يكون خُلُقه القرآن.

القرآن يخاطبنا

وعلى كلّ مؤمن أن يستصحب في وعيه دائماً أنّ قضايا القرآن ومفاهيمه ومواعظه ليست من قضايا الماضي الّذي كان، إنّما هي قضيّة اللّحظة وكلّ لحظة، إنّها قضيّتنا نحن، والخطاب فيها هو لنا نحن بالذّات لا لقوم آخرين كانوا، أو لغيرنا، بل لنا ولكلّ فرد فينا. وينبغي أن يستشعر القارىء للقرآن أنّه هو المخاطَب بالذّات وأنّ القرآن ليس كتاب مطالعة يقرأ فيه عن عصر من التاريخ فات.

وعندما يتفكّر القارئ للقرآن في كلّ آية من آياته الشريفة ويطبّق مفادها على حاله ونفسه فإنّه يرفع نقصانه بواسطة هذا التطبيق ويشفي أمراضه به. فعندما يقرأ مثلاً قصّة إبليس وطرده من مقام القرب مع تلك السجدات والعبادات الطويلة ويتساءل لماذا كان ما كان؟ يجد أنّ مقام القرب الإلهيّ هو مقام المطهّرين، ومع التلبّس بالأوصاف والأخلاق الشيطانيّة لا يمكن القدوم إلى ذلك القرب، فيبادر إلى التخلّص منها ليحصّل مقامَ القرب، بحيث نشعر دائماً بحياة القرآن وأنّه حيّ دائماً، ليهب الحياة إلى قلوبنا وتصير أرواحنا معلّقة بعزّ قدس اللّه تعالى.

مهجوريّة القرآن الكريم

يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾[١٢٠].

إنّ مهجوريّة القرآن لها مراتب، ولعلّنا متّصفين بالعمدة منها. أترى أنّنا إذا جلّدنا المصحف الشريف

(١١٩) سورة الأنفال، الآية: ٢.

(١٢٠) سورة الفرقان، الآية: ٣٠.

جلداً نظيفاً وقيّماً أو إذا قرأناه أو استخرنا به وقبّلناه ووضعناه على أعيننا، لا نكون هاجرين له؟ أترى إذا صرفنا غالب عمرنا في تجويده والاهتمام في جهاته اللغويّة والبيانيّة والبديعيّة، ما اتّخذناه مهجوراً؟ هل أنّنا إذا تعلّمنا القراءات المختلفة ما اتخذناه مهجوراً؟

إنّ عمدة هجر القرآن هي عدم تطبيقه في حياتنا الخاصّة والعامّة. ونحن للأسف قد نكون متّصفين بهذه المرتبة من الهجر، حيث لا نأخذ تعاليم القرآن في حسباننا!.

خلاصة الدرس

- للقرآن حقّ علينا وينبغي أن نوفّيه حقّه برعاية جملة من الآداب أثناء تلاوته والاستماع إليه، ومن هذه الآداب:
- الإخلاص والتدبّر، فالقراءة الّتي لا تدبّر فيها لا خير فيها، ثم يأتي التفكّر فالتأثّر والخشية من الله تعالى فالبكاء والحزن. ولعلّ أهم آداب القرآن تطبيقه على حياتنا كما كان رسول الله يوصف بأنّ خُلُقه القرآن. فإنّ خُلُقنا ينبغي أن يكون مشابهاً. وإنّ عمدة هجر القرآن هو عدم تطبيقه في حياتنا الخاصّة والعامّة. ونحن للأسف قد نكون متصفين بهذه المرتبة من الهجر، حيث لا نأخذ تعاليم القرآن في حسباننا!.

للمطالعة

النبع الفيّاض

يقول الإمام الخميني قدس سره: «أوصي الأخوة الأعزاء أن لا يغفلوا... عن الاستئناس بالقرآن الكريم، هذه الصحيفة الإلهيّة وكتاب الله الهادي، فكلّ ما عند المسلمين وما سيكون عندهم خلال عصور التاريخ الماضية والقادمة إنّما هو من البركات المغدقة لهذا الكتاب المقدّس. وبهذه المناسبة أطلب من كلّ العلماء الأعلام وأبناء القرآن والعلماء العظام أن لا يغفلوا عن هذا الكتاب المقدّس الّذي فيه تبيان كلّ شيء،...

والآن فإنّ الصورة المدوّنة لهذا الكتاب المأخوذ عن لسان الوحي بعد النزول قد وصلت إلى أيدينا كاملة دون زيادة حرف أو نقصان حرف، فالحذر الحذر من هجره لا سمح الله.

نعـم، الأبعاد المختلفة لهذا الكتـاب بكلّ آفاقها ليست في متناول البشر العاديّين لكن على أهل المعرفة والتحقيـق في الفروع المختلفة أن ينهلـوا بقدر علمهم ومعرفتهم وكفاءاتهم مـن هذا الكنز العرفانيّ الإلهـيّ الفيّاض والبحـر الموّاج النازل على محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، ويقدّموه بتعبـيرات مختلفة قريبة للأذهان إلى الآخريـن... والمتّقون التوّاقون إلى الهداية عليهم أن يحملوا بارقة ممّا أخذوه من نور التقوى عن هذا النبع الفيّاض بالهدى للمتّقين إلى العشّاق الوالهين إلى الهداية الإلهيّة.

وأخيراً على كلّ مجموعة من العلماء الأعلام والمفكّرين العظام أن يشمّروا عن ساعد الجدّ لتناوُلِ بعدٍ من الأبعاد الإلهيّة لهذا الكتاب المقدّس، ويقدّموا بأقلامهم ما يحقّق آمال عشّاق القرآن.

ولتنفقـوا أوقاتكـم في الأبعاد السياسيّـة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والعسكريّـة والثقافيّة في القرآن، ومـا فيـه من مسائل الحرب والسلم، ليتبيّن أنّ هذا الكتاب مصدر كلّ شيء من عرفان وفلسفة وأدب وسياسة...

فيـا أيّتها الحوزات العلميّـة والمحافل الدراسيّة الجامعيّة، انهضي وأنقـذي القرآن من شّر الجاهلين المتنسّكـين والعلمـاء المتهتّكـين الّذين يهتكون حرمـة القرآن عن عمـد وجهل. وأقول عـن جدّ لا عن مجاملة إنّي آسف على ما فات من عمري في خطأ وجهل. وإنّكم يا أبناء الإسلام الغيارى في الحوزات والجامعات ابعثوا في الحوزات والجامعات يقظة تدفعها إلى الاهتمام بشؤون القرآن وأبعاده المختلفة الكثيرة.

اجعلوا تدريس القرآن نصب أعينكم في جميع أبعاده، كي لا تندموا وتأسفوا لا سمح الله على ما فات من شبابكم حين يهجم عليكم ضعف الشيب في آخر العمر، مثل كاتب هذه السطور»[١٢١]

---

(١٢١) صحيفة الإمام الخميني قدس سره، ج٢٠، ص٨١

٨

الدرس الثامن

الموانع والحجب بين المستفيد والقرآن

الدرس الثامن

الموانع والحجب بين المستفيد والقرآن

أهداف الدرس

١. معرفة الحجب الظّلمانية التي تحول بين الإنسان والاستفادة من كتاب الله.

٢. التعرُّف على أهمّ هذه الحجب والموانع التي تصدُّ عن سبيل كتاب الله.

٣. الاستفادة من معرفة الحجب والموانع في عملية رفعها وإزالتها.

مقدّمة:

إذا صارت عظمة كتاب الله معلومةً من جميع الجهات، وانفتحَ على الإنسان طريقُ الاستفادة الحقيقية منه، عندها ينبغي على المتعلّم والمستفيد من كتاب الله أنْ يجري أدباً آخر من الآداب المهمَّة حتَّى تحصل الاستفادة التَّامة، وهو رفع الموانع والعوائق الأساسية التي تحول دون الاستفادة الكاملة منه.

وهذه الموانع نعبّر عنها بالحجب بين المستفيد والقرآن، وهذه الحجب كثيرة نشير إلى بعضها:

حجاب رؤية النَّفس مستغنيةً:

من الحُجب العظيمة التي تحول بين الإنسان وبين الاستفادة من كتاب الله العزيز، حجابُ رؤية النفس مستغنيةً عن كتاب الله، حيث يرى المتعلّم نفسه بسبب هذا الحجاب مستغنٍ عنه أو غير محتاجٍ للاستفادة منه. وهذا يُعتبر من أكبر وأخطر مكائد الشَّيطان الذي يُزيّن للإنسان دائماً الكمالات الموهومة، ويرضيه ويقنعه بما هو عليه، وما في يديه من الكمالات المحدودة الفانية والزائلة، ويسقط من عينه كلّ ما ليس بحوزته.

مثلاً: قد يقنع الشيطان أهل التجويد بذاك العلم الجزئي ويزيّنه في أعينهم ويسقط سائر العلوم من أعينهم ويطبّق معنى «حملة القرآن» عليهم، ويحرمهم من فهم الكتاب الإلهيّ النوراني ومن الاستفادة منه. ويمكن أن يُرضيَ أصحاب الأدب واللغة بتلك الصُّورة اللغوية والظاهريَّة الفاقدة للّب، ويصوّرَ لهم أنَّ جميع شؤون القرآن موجودة عندهم. وقد يشغل أهل التفاسير المتعارفة بوجوه القراءات، والآراء المختلفة لأصحاب اللغة، ووقت النزول، وشأن النزول، وكون الآيات مكيَّة أو مدنيَّة وتعدادها، وتعداد الحروف وأمثال تلك الأمور...

فعلى كلِّ باحث عن الاستفادة الحقيقية من كتاب الله، أنْ يخرقَ جميع هذه الحجب، فلا يقف عندها بـل عليـه أنْ ينظرَ إلى ما هو أبعد من هذه الأمـور، ولا يقنع عند حدّ معيّن من القرآن الشّريف لكي لا يتأخّر عن قافلة السالكين فيُحْرَمَ من الدَّعوات الإلهيّة للاستفادة من هذه المأدبة السماوية.

والإشـارة إلى هـذا المعنى في القصص القرآنيّة كثيرة. فالنبي موسـى كليم الله عليه السلام مع ما له من المقام العظيم في النُّبوَّة، لم يقتنع بذلك المقام ولم يتوقّف عند مقام علمه الشَّامخ، بل بمجرَّد أن التقى بإنسـان كامـل كالخضر عليه السلام قال له بمنتهى التواضـع والخضوع: ﴿**هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**﴾[١٢٢] وصار ملازماً لخدمته حتَّى أخذ منه العلومَ التي احتاج إليها.

والنبي إبراهيم عليه السلام لم يقتنع بمقام الإيمان والعلم الشامخ الخاص بالأنبياء فقال: ﴿**رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى**﴾[١٢٣]، فأراد أن يرتقي من مقام الإيمان القلبي إلى مقام الاطمئنان الشهودي. وهناك ما هو أعظم من ذلك حيث يأمر الله تبارك وتعالى نبيّه الخاتم محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم وهو أعرف خلق الله على الإطـلاق في الآيةِ الكريمةِ الشّريفةِ: ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾[١٢٤] بأنْ لا يقف عند حدّ في طلب العلوم الربّانية والاستزادة منها. فهذه الأوامر الإلهيّة ونقل قصص الأنبياء وغيرها، إنّما هي لأجلِ أنْ يتنبَّهَ النَّاسُ ويستيقظوا من نوم الغفلة الذي يتخبَّطون فيه.

حجاب الآراء الفاسدة والعقائد الباطلة:

ومـن الحجـب المانعة أيضاً التـي تصدّ عن الاستفـادة الصَّحيحة من القرآن الكـريم، حجاب الآراء الفاسدة والعقائد الباطلة، التي قد يكون سببها سوء استعداد الشخص، والأغلب أنَّ سبَبَها الأساسيَّ هو التبعيَّةُ والتَّقليدُ الأعمى للغير.

وهـذا الحجـاب من الحجب الرَّئيسـة التي تحجُبُ الإنسان عـن معارف القرآن وحقائقـه النُّورانيَّة، فمثـلاً إذا رسخ في قلوبنا اعتقادٌ ما بمجـرّد الاستماع إلى الأب أو الأم أو بعض الجهلة، فإنَّ مثل هذه

(١٢٢) سورة الكهف، الآية: ٦٦.

(١٢٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

(١٢٤) سورة طه، الآية: ١١٤.

العقيـدة قـد تكون حجاباً بيننا وبين الآيات الشّريفة الإلهيّـة. وإذا وردت آلاف الآيات والرِّوايات التي تخالـف تلك العقيـدة، فإمّا أن نصرفها عن ظاهرهـا أو أن لا ننظر فيها نظر الفهـم. والأمثلة فيما يرجع إلى العقائد والمعارف كثيرة، نشير إلى واحدةٍ منها من باب المثال حيث إنَّه أسهل للفهم.

إنَّ تلـك الآيـات الكثيرة الراجعة إلى معرفته ولقائه، والرِّوايات الكثـيرة في هذا الموضوع، والإشارات العديدة والكنايات والتصريحات المتنوّعة في أدعية ومناجاة الأئمة عليهم السَّلام، مثل هذه الشواهد الكثيرة بمجرّد ما تصطدم بتلك العقيدة التي انتشرت بين عوام النَّاس أنّ طريق معرفة الله مسدود بشـكل كامل أمامنا نحـن البشر العاديون، حيث يقيسون باب معرفـة الله ومشاهدة جماله على باب الممنـوع بل والممتنع في التفكُّر بذاته المقدّسة. فإمّا أن يؤوّلـوا ويوجّهوا تلك الآيات والرِّوايات، وكذلك الإشارات والكنايات والتصريحات في أدعية الأئمة ومناجاتهم، وإمّا ألّا يدخلوا في هذا الميدان أصلاً ولا يفتحوا على أنفسهم تلك المعارف التي هي قرّة عين الأنبياء والأولياء. وممّا يوجب الأسف الشَّديد لأهـل الله، أنَّ بابـاً من المعرفة الذي يمكن أن يقال أنَّه غاية بعثة الأنبياء ومنتهى مطلوب الأولياء، قد سدّوه على النَّاس حتَّى صار التفوّه به، عند البعض كفراً محضاً ومحض الزندقة.

حجاب شبهة التفسير بالرأي:

ومن الحجب الغليظة المانعة من الاستفادة من هذه الصَّحيفة النُّورانية، الاعتقاد بأنّه ليس لأحدٍ حقُّ الاستفادة من القرآن الشّريف إلا من خلال ما كتبه المفسّرون وفهموه. فقد اشتبه على النَّاس التفكُّر والتدبّـر في الآيات الشّريفة بالتفسير بالرأي الممنوع. ومن خلال هذا الرأي الفاسد والعقيدة الباطلة جعلوا القرآن عارياً من جميع فنون الاستفادة واتَّخذوه مهجوراً كُلياً.

إنَّ مـن المحتمل بل مـن المظنون أن التفسير بالرأي المنهي عنه هو الراجع إلى آيات الأحكام الشرعية التـي تقصر عنهـا أيدي الآراء والعقـول، والتي لا بـد وأن تؤخذ بصرف التعبّـد والانقياد من خزّان الوحي ومهابط ملائكة الله، لا إلى آيات المعارف والعلوم العقلية والأخلاقية. كما أنّ أكثر الرِّوايات في هذا الباب وردت في مقابل فقهاء العامة الذين كانوا يريدون أن يفهموا دين الله بعقولهم وقياساتهم. ومـا في بعض الرِّوايـات الشّريفة من أنَّه: «ليس شيء أبعد عن عقول الرجال من تفسير القرآن»[١٢٥]،

(١٢٥) بحار الأنوار، ج٨٩، ص٩٥.

وكذلك الرواية الشّريفة: «إنّ دين الله لا يصاب بالعقول» (١٢٦) تشهدُ بأنَّ المقصود من دين الله الأحكام التعبّديّــة للدين، وإلا فباب إثبات الصانع والتَّوحيد والتقديس واثبات المعاد والنُّبوَّة بل مطلق المعارف حقّ مطلق للعقول ومن مختصَّاتها.

حجابُ الذُّنوب والمعاصي:

ومــن الحجب المانعة مــن فهم القــرآن الشّريف، ومن الاستفــادة من معارف هذا الكتــاب السَّماويّ ومواعظــه، حجاب المعاصي والذُّنوب الحاصلة من الطغيان وعصيان ربّ العالمين، التي تحجب القلب عن إدراك الحقائق الإلهيّة العزيزة، يقول تعالى: **﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**. فلــكلِّ عمــلٍ من الأعمال الصالحة أو السيّئة صورةٌ وتأثــيرٌ في الآخرة وعالم الملكوت تتناسب معه، وله صــورةٌ أيضاً وتأثيرٌ في النَّفس الإنسانيَّة وملكوتهــا، تحصلُ بواسطتها إمّا النُّورانيةُ في النَّفس، فيكون القلــب مطهَّراً ومنــوَّراً، وفي هذه الحالة تكون النَّفــس كالمرآة المصقولة الصافيــة، اللائقة للتجليات الغيبيّــة وظهــور الحقائق والمعارف فيه. وإمّــا أن يصير باطن النفس بهذه الأعمــال ظلمانياً وخبيثاً، وفي هــذه الصُّورة يكون القلب كالمــرآة المدنّسة، فلا تنعكس فيها المعارف الإلهيّة ولا الحقائق الغيبيّة. فيقع قلب الإنسان في هذه الحالة وبالتّدريج تحت سلطة الشَّيطان، ويكون إبليس اللَّعين هو المتصرِّفُ في مملكــة روحــه. ويقع السّمع والبصر وسائر القوى أيضاً تحت تصرّف ذاك الخبيث، وينسدُّ السَّمعُ بالكلِّيــة عن المعارف والمواعظ الإلهيّة. ولا ترى العين الآيــات الباهرة الإلهيّة، وتعمى عن الحقّ وآثاره وآياته، ولا يتفقّهُ القلب في الدِّين ويحرم من التفكُّر في آيات الحقّ وتذكّرها، كما قال الحقّ تعالى: **﴿لَهُـمْ قُلُـوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِـرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْـمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾** (١٢٧).

فيكون نظره إلى العالم كنظر الأنعام المحرومة من نعمة التفكُّر والتدبّر، ويصبح قلبه كقلوب الحيوانات التي لا نصيب لها من التفكُّر والتذكّر، بل يمكن أنْ تزدادَ حالةُ الغفلة والاستكبار فيه يوماً بعد يوم من جرّاء عدم النظر في الآيات الإلهيّة وسماع المواعظ الربّانية، فيغدو أرذل وأضلّ من الحيوان.

---

(١٢٦) بحار الأنوار، ج٢، ص٣٠٣.

(١٢٧) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

حجاب حب الدُّنيا:

ومـن الحجب الغليظة التي هي مانع سميك بيننـا وبين معارف القرآن ومواعظه، حجابُ حبِّ الدُّنيا. حيـث يصرف القلب تمام همّته في الدُّنيا فتكون وجهة القلـب تماماً إلى الدُّنيا ويغفل القلب بواسطة هـذه المحبّـة عن ذكـر الله ويعرض عنه. وكلّمـا ازداد التعلّـق بالدُّنيا وشهواتهـا ازداد حجاب القلب والساتـر ضخامـة. وربما تغلَّبـت هذه العلاقة على القلـب ويتسلّط سلطان حبُّ الجـاه والشرف على القلب فينطفئ نور فطرة الله تماماً، وتُغلقُ أبواب السعادة على الإنسان. ولعلّ المراد من إقفال القلوب المذكـورة في الآيـة الشّريفة: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّـرُونَ الْقُـرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُـوبٍ أَقْفَالُهَـا**﴾(١٢٨) هو هذه الأقفال والأغلال والعلائق الدنيوية.

فمـن أراد أن يستفيـدَ مـن القرآن ويأخـذَ نصيبه من المواعـظ الإلهيّة لابدّ وأن يطهّـرَ قلبه من هذه الأرجاس، ويزيـل أدران المعاصـي القلبية والاشتغال بغـير الله من القلب، لأنّ القلـوب غير المطهّرة ليسـت حرمـاً لهذه الأسرار كمـا قال تعالى: ﴿**إِنَّـهُ لَقُرْآنٌ كَـرِيمٌ ❖ فِي كِتَـابٍ مَّكْنُونٍ ❖ لَّا يَمَسُّـهُ إِلَّا الْمُطَهَّـرُونَ**﴾(١٢٩). فكمـا أنّ غـير المطهّر بالطهارة الظاهريَّة ممنوع عن ظاهـر هذا الكتاب ومسّه في العـالم الظاهر تشريعاً وتكليفاً، كذلك من كان ملوّثاً بأرجاسـ التعلّقات الدنيوية والمحدودة والفانية ممنوع من معارفه ومواعظه وباطنه وسرّه قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾(١٣٠). فغـير المتّقي محروم مـن أنوار القرآن ومواعظـه وعقائده الحقّة. والآية الشريفـة التالية تكفي لأهل اليقظة بشرط التدبّر فيها، حيث قال تبارك وتعالى: ﴿**قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ❖ يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾(١٣١).

---

(١٢٨) سورة محمد، الآية: ٢٤.

(١٢٩) سورة الواقعة، الآيات: ٧٧ ـ ٧٩.

(١٣٠) سورة البقرة، الآية: ٢.

(١٣١) سورة المائدة، الآيتان: ١٥ ـ ١٦.

خلاصة الدرس

- إزالـةُ الحجـب والموانع بين المستفيد والقرآن شرط أساسي لتحقيـق الاستفادة الكاملة من كتاب الله.
- من الحجب التي تصدُّ عن سبيل القرآن، الشُّعور بالاستغناء عن كتاب الله، وعدم الحاجة الفعلية والضرورية إليه في مسيرة الإنسان الإيمانية والتكاملية.
- مـن الحجب التـي تحولُ دون الاستفـادة من القـرآن الكريم الشُّبهـاتُ العقائديَّـة والاعتقادات الخاطئة المتعلِّقةُ بالقرآن فهماً وتأويلاً وتفسيراً.
- من الحجب التي تمنع من فهم حقائق القرآن والاستفادة منه أيضاً، تلوّث باطن الإنسان بالمعاصي والذُّنوب. فمعارف هذا الكتاب المقدّس وحقائقه لا يمسّه إلا المطهّرون من دنس
- الخطايا والآثام.
- حبّ الدُّنيا أيضاً والتعلّق بها يصرف القلب عن الله فتكون وجهته إلى غيره فيغفل القلب بواسطة هذه المحبّة عن ذكر الله ويعرض عنه، فيحجب عن معارف القرآن الحقّة.

للمطالعة

في رحاب الإمام قدس سره

يترجـم الإمام الخمينيّ قدس سـره احترامه للناس ورعاية مشاعرهم بأفعالـه وتصرّفاته الحكيمة دائمـاً. فعندمـا كان الإمام في باريس، نزل في إحـدى مناطقها في منزل أحـد الجامعيّين أوّلاً، وكان البيت في الطبقة الرابعة.

ولكـثرة الذهـاب والإياب إليه، وعدم راحة الجيران بسبب ذلك، قـرّر الإمام أخذ مكان لا يزعج فيه أحداً، فكان بيت نوفل لوشاتو.

وفي باريـس، وفي ليلة ميلاد السيّد المسيـح عليه السلام، وزّع على جيرانه المسيحيّين هدايا مؤلّفة من بعض الحلويّات الإيرانيّة والمكسّرات إضافة إلى باقة ورد لكلّ بيت.

وفي نوفـل لوشاتو يُمنع ذبح الحيوانـات خارج المسلخ حسب القانون، وفي أحـد الأيّام ذبحوا في مكان سكـن الإمام خروفاً.. ومع أنّ الإمام كان في ديار الكفر، قال: لأنّ ذلك مخالف لقانون الحكومة، فلن آكل من هذا اللحم.

فـإنّ الإمـام وإن كان في منطقة غير مسلمة، ولكنّه كان يُظهر فيها أخلاق الإسلام، واحترام الرسالة المحمّدية للإنسان، كيف لا يكون كذلك وهو المتعلّم من نبع الطهارة؟

كانـوا مسيحيّـين، ولكنّه رفض إزعاجهم في سكنه، بسبـب تردّد الزائرين إليـه. لم يكونوا مسلمين. ولكنّه شاركهم وهنّأهم في عيدهم بميلاد رسول ما قبل الإسلام. فبعث إليهم بهدايا كعلامة مشاركة في هذا العيد.

ونفهـم ممّـا مضـى كلّه من خدمـة الإمام للناس، وحرصه علـى أن لا يخدمه أحد، كمـا يذكر الأخ سليماني: أنّ الإمام كان شديد الحرص، ويقول لنا دائماً عندما نقوم بأيّ شيء من أجله: «لا تزعجوا أنفسكم». ومع ذلك نراه يخدم الناس، ويرى ذلك لا يقلّ ثواباً عن الزيارة.

٩

الدرس التاسع

الترتيل

الدرس التاسع

الترتيل

مـن الآداب التـي يجب مراعاتها أثناء تـلاوة القُرآن أن تكون القراءة بصـوت حزينٍ وجميل، وتكون القراءة بالترتيل؛ لأنَّ روح الإنسان تتأثَّر بهذه القراءة.

فما معنى الترتيل؟

الترتيل: أن تكون القراءة متوسطة بين التأنّي والسرعة.

قال تعالى: **﴿وَرَتِّلِ القُرآن تَرْتِيلا ﴾**[١٣٢].

وسنذكر نماذج من تفسير الأئمة المعصومين عليهم السلام لهذه الآية:

فعن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في تفسير: **﴿وَرَتِّلِ القُرآن تَرْتِيلا ﴾**: قال بيِّنْه تبييناً، ولا تهذه هذ الشعر[١٣٣]، ولا تنثره نثر الرمل[١٣٤]، ولكن فزِّعوا قلوبكم القاسية ولا يكن همُّ أحدكُم آخرَ السورة».

وعن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير: **﴿وَرَتِّلِ القُرآن تَرْتِيلا ﴾** قال: «قِفْ عند وعدِهِ ووعيدِه، وتفكَّر في أمثالِهِ ومواعظِهِ».

كيفية الترتيل

لكي تكونَ عزيزي الطالب مُرتِّلًا في قراءتِك القُرآن ترتيلًا صحيحًا يجب عليك اتباع القواعد التالية، كي تساعدك على ذلك:

معرفة أنواع الوقف، أي توقيف القراءة، وأماكنه:

فقـد يكـون الوقف جائزًا، وهو الذي يُرمزُ له في المصاحـف الموجودة برمز (ج) أو (قلى) أو (صلى) فوق الكلام، مثل الوقف على آخر كلمة (رَبِّهِمْ) في قوله تعالى: **﴿أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ**

---

(١٣٢) المزمل: ٤.

(١٣٣) أي لا تسرع في قراءته كما يقرأ الإنسان الشعر بسرعة.

(١٣٤) أي لا تقرأه كأنه كلمات متفرقة غير متصلة.

هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١٣٥].

وقد يكونُ الوقف تامًّا، يعني التوقف الكامل عن القراءة، مثل الوقف في آخر آية البسملة، وهي قوله تعالى ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾، وعادة يكون الوقف التامّ على آخر الآيات.

وقد يكون الوقف غير جائز أو قبيح، لأنه يؤدي إلى كلام لا يُفهَمُ معناه.

مثلاً: لو وقف القارئ على قول (بِسْمِ) من قوله تعالى: (بِسْمِ اللَّهِ)، أو قول (الحَمْدُ) من قوله تعالى: ﴿**الحَمْدُ لِلَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾.

وفي بعض الآيات نجد رمز (مـ) فوق، وهو علامة على المنع من الوقف، أو(صلى) وهي تعني أنَّ الوصل أولى، أمّا علامة (قلى) تعني أنَّ الوقف أولى.

تجويد القُرآن:

يعنى أن تضبط قراءة الكلمات أثناء تلاوتك للقرآن.

وقواعد التجويد تتكون من الإدغام والإظهار والإقلاب والمد وغيرها،

وهذا كُلُّهُ يعتمد على كيفية خروج الحروف ونطقها.

وهذه الأمور ينبغي عليك مراعاتها، فينبغي التعرف إلى أحكام تجويد القُرآن وتطبيقها.

ما هو الهدف الأساس من الترتيل؟

إنَّ ترتيل القُرآن يحتاج من الإنسان أن يقف على الآيات في الأماكن المناسبة، ويقرأها قراءة صحيحة، ولكن هذا لا يعني أن يكون التركيز والاهتمام الأكبر على شكل القراءة فقط،

ولا يكون الاهتمام بالألفاظ، وأداء الحروف وغيرها من الأمور، التي تُبعِد الإنسان عن الهدف الأساس من الترتيل.

صحيحٌ أنَّ الترتيل يُعلِّمُنا النطقَ بلفظ القُرآن على نحو ما بلَّغه النبيُّ محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ويصون لساننا عن الخطأ في قراءته، ولكن لا بُدَّ أن نعلم أنَّ الهدف الأساس من الترتيل هو التدبُّر والتفكُّر في آيات القُرآن؛ لأنَّ القراءة الصحيحة والترتيل يساعدان الإنسان على التدبُّر والتفكُّر في الآياتِ التي يقرؤها، وسوف نتناول موضوع التدبُّر والتفكُّر في المرحلة القادمة إن شاء الله.

---

(١٣٥) سورة البقرة آية: ٥.

أسئلة الدرس

١. *عرّف الترتيل مع ذكر نموذج من تفسير الأئمة (عليهم السلام) لآية الترتيل؟*

....

....

٢. *ما هو الهدف الأساس من الترتيل؟*

....

....

٣. *أكمل الفراغات فيما يلي:*

أ- أنواع الوقف ثلاثة، وهي

١. .... مثل ....

٢. .... مثل ....

٣. .... مثل ....

ب- قواعد التجويد تتكون من .... و ....

و .... و .... **وكذلك** ....

٤. *علل : يستحب قراءة القُرآن بالترتيل.*

....

....

١٠

الدرس العاشر

التدبُّر في القُرآن

الدرس العاشر

التدبُّر في القُرآن

أهمية التدبُّر في القُرآن

لقد حثَّ القُرآن الكريم وأحاديث المعصومين عليهم السلام على التدبُّر في معاني القُرآن، والتفكُّر في مقاصده وأهدافه.

قال تعالى: ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرآن أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾[١٣٦] فالآية الكريمة بها توبيخ عظيم على ترك التدبُّر في القُرآن، وعَدَّت ترك التدبُّر دليلًا على انغلاق القلوب، وتعطيل الحس. وهل يوجد توبيخ أعظم من توبيخ الله لعباده؟

وعن علي بن الحسين عليه السلام قال: «آياتُ القُرآنِ خزائن فكُلَّما فتحتَ خزينةً ينبغي لكَ أن تنظُرَ ما فيها».

إذا كان الأمر قد وصل إلى هذه الدرجة، في الترغيب والترهيب على التدبُّر في القُرآن. فيا ترى، ما هي الطريقة التي من الممكن أن نسلُكَها في تدبُّرِ القُرآن؟

طريقة التدبُّر

إذا أردت - عزيزي الطالب - أن تتدبر في القُرآن يمكنك أن تتبع الخطوات التالية:

١. ابحث عن معاني كلمات الآيات التي تقرؤها في المعجم (أي القاموس اللغوي) أو اسأل عن معانيها.

٢. ابحث في التفسير الصحيح عن الآيات التي تقرؤها، وتعرَّف إلى الأسباب التي أوجبت نزول الآية أو تطبيقها عليها.

٣. ابحث عن تطبيقٍ خارجيٍّ لمواضيع القُرآنِ الحكيم، ابحث عن أشخاص ينطبق عليهم وصف القُرآن، أو يبيّن أوضاعهم، أو يبيّن نتائج أفعالهم.

فمثلا آيَةُ المتقين تنطبق على أشخاصٍ في كُلِّ عصر، قد كانت تنطبق على الإمام علي عليه السلام مثلاً وتنطبق أيضًا على العلماء المتقين الموجودين الآن، وكذلك آية الفاسقين، فإنها تنطبق على آخرين في

---

(١٣٦) سورة محمد آية: ٢٤.

كُلِّ زمان، وبالتالي يتحوَّلُ القُرآنُ إلى منهجِ عملٍ في حياتك.

طبِّق القُرآنَ على نفسك، وفي جميع شؤون حياتك،

فمثلا عند ما تقرأ: ﴿...وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾[١٣٧] فاسأل نفسك: هل أنت مطبِّقٌ لهذه الآية في حياتك؟ إذا لم تكن مُطبِّقًا، فلتبدأ من الآن. لتنال ثواب المتدبِّرين العاملين.

الحقائق التي يكتشفها المتدبِّر هي:

١. لعلَّ المُتدبِّر في قراءة القُرآن يكتشف حقائق لا يكتشفها غيره، ومن بين الحقائق التي يكتشفها المتدبِّر:

٢. يكتشف أنَّ القُرآن هو الكِتاب الذي بينه وبين الله مباشرة،

(إذا أردت أن تخاطب الله فعليك بالدعاء، وإذا أردت أن يخاطبك الله فعليك بقراءة القُرآن)،

٣. ويقوى إيمانه بأنَّ القُرآن ليس كلام البشر، بل وحيٌ من الله .

٤. يكون عند المتدبِّر في قراءة القُرآن استعدادٌ أكثر من غيره؛ لتطبيق تعاليم القُرآن، والتسليم للأفكار الموجودة في القُرآن، حتى لو كانت تخالف هواه.

٥. يملك الشجاعة والتمسُّكَ بالحق، والثقة بما يهدي إليه القُرآن؛ لأنَّه يستمدُّ كُلَّ هذا منه.

نماذج للمتدبِّرين

النموذجُ الأول

مرَّ أعرابي[١٣٨] على رجل وهو يتلو آيةً هكذا: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللهِ وَاللهُ غفور رحيم**﴾.

فقال له: أخطأت!

قال: وكيف؟

قال: إنَّ المغفرة والرحمة لا تُناسِبان قطع يد السارق!

فتذكر الرجل الآية وقرأها صحيحة: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً**

(١٣٧) سورة الإسراء آية: ٢٣.

(١٣٨) أي بدوي من عرب الصحراء.

مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١٣٩].

فقال الأعرابي: نعم بعزته أخذها وبحكمته قطعها.

النموذج الثاني

حاول رجل يُدعى الفضيلُ بنُ عياض أن يتسلَّق جِدار منزل؛ لينهب المال، ويعتدي على أهله، فسمع صوتًا من داخل البيت وهو يتلو هذه الآية: **﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾**[١٤٠].

فاستمع إلى الآية وانفجر باكيًا، وقال: بلى آنَ الوقت الذي يخشع قلبي القاسي لذكر الله. فهبط وتوجَّه نحو المسجد واعتكف فيه وأصبح من المؤمنين العباد.

إنَّ تدبُّرَ هذا الرجل في آيةٍ واحدةٍ حوَّلته، من مجرمٍ إلى مُعتكِفٍ في محراب العبادة؟ فكيف إذا تدبَّرَ في القُرآن كُلِّه، أفلا يتحوَّل الرجل إلى أفضل من الملائكة.

النموذج الثالث

انتقل الفضيل (الذي ذكرناه في النموذج السابق) إلى مكة، وعاش بها إلى أن مات في المحرم سنة ١٨٧ وقبره بها، وله كلمات ومواعظ مشهورة.

وكان له ولد يسمى بعلي الفضيل، وهو أفضل من أبيه في الزهد والعبادة، فكان شابًّا من كبار الصّالحين، وهو معدود من الذين قتلتهم محبةُ الله، فلم يتمتع بحياته كثيرًا.

وذلك أنه كان يومًا في المسجد الحرام قرب بئر زمزم، فسمع قارئًا يقرأ: **﴿وَتَرَى المُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ﴾**[١٤١]. فصعق ومات.

---

(١٣٩) سورة المائدة آية: ٣٨.

(١٤٠) سورة الحديد آية: ١٦.

(١٤١) إبراهيم: ٤٩

أسئلة الدرس

١. اذكر الحقائق التي يكتشفها المتدبر ولا توضح لغيره؟

....

....

٢. اذكر أنموذجًا لشخص متدبر أثَّرت فيه آية قرآنية مع تعليقك الخاص عن ذلك؟

....

....

٣. اذكر دليلاً يحثُّ على التدبُّر؟

....

....

٤. اشرح بإيجاز كيف ستتدبَّر في الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١٤٢)

....

....

---

(١٤٢) التوبة: ١١٩.

١١

الدرس الحادي عشر

سورة الإخلاص

الدرس الحادي عشر

سورة الإخلاص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ❖ اللَّهُ الصَّمَدُ ❖ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ❖ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

(سورة الاخلاص)

مكّيّةٌ، ترتيبها ١١٢، وآياتها أربع.

وقد روي في شأن النّزول: أنّ بعض المشركين جاءوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمّد، صف لنا ربّك، أمِن ذهبٍ هو أم من فضّةٍ، أمن زبرجدٍ أم من ياقوتٍ، فنزلت السّورة.

وروي أنّ اليهود قالوا للنّبي ﷺ: صف لنّا ربّك، فنزلت السّورة.

التفسير:

قوله تعالى: **﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾**

اعلم أنّ وصف الله تعالى بالواحد له ثلاثة معانٍ:

الأوّل: أنّــه واحدٌ لا ثاني لــه، فهو نفيٌ للعدد، ليس كما يعتقد النّصارى بالتثليث، العقيدة الّتي أشار إليهــا قولــه تعالى: **﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُـواْ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾**(١٤٣) هم يقولون إنّ الإله ثلاثة أقانيم (الأب والابن والروح القدس).

الثّاني: أنّه واحدٌ لا نظير له ولا شريك له، ليس كما يعتقد المشركون بتعدّد الآلهة.

الثّالث: أنّه واحدٌ لا ينقسم ولا يتبعّض.

لقد أقام الله في القرآن براهين قاطعةً على وحدانيّته تعالى، وهي:

(١٤٣) سورة المائدة، الآية: ٧٣.

الأوّل: قوله تعالى: ﴿**أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ**﴾[144]، وهذا دليل الخلق والإيجاد، فإذا ثبت أنّ الله تعالى خالقٌ لجميع الموجودات، لم يصحّ أن يكون واحدٌ منها شريكاً له.

والثّاني: قوله تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾[145]، وهو دليل الإبداع والإحكام.

الثّالث: قوله تعالى: ﴿**قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً**﴾[146]، وهو دليل القهر والغلبة.

الرّابع: قوله تعالى: ﴿**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾[147]، وهو دليل التّنازع.

قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الصَّمَدُ**﴾، الصمد مفهوم واسع ينفي صفات المخلوقين عن ساحته المقدّسة، وأنّه جلّ وعلا المقصود في الحوائج المستغني عن العالمين.

قوله تعالى: ﴿**لَمْ يَلِدْ**﴾، أي: لم يتّخذ ولداً وليس له أبناءٌ وبناتٌ.

وفي الآية ردٌّ على كلّ مَن جعل لله ولداً كاليهود في قولهم: ﴿**عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ**﴾، النّصارى في قولهم: ﴿**الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ**﴾[148]، وكمشركي العرب في زعمهم أنّ (الملائكة بنات الله)، والولد لا يكون إلاّ لِمَن له زوجةٌ، والله ليس له زوجةٌ ﴿**أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ**﴾[149].

قوله تعالى: ﴿**وَلَمْ يُولَدْ**﴾ أي: لم يولد لا من أب ولا أُمٍّ، لأنّ كلّ مولود حادث، وهو سبحانه قديمٌ أزليّ.

قوله تعالى: ﴿**وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ كقوله: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[150].

والكفوء: النظير والشبيه.

---

(١٤٤) سورة النحل، الآية: ١٧.

(١٤٥) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

(١٤٦) سورة الإسراء، الآية: ٤٢.

(١٤٧) سورة المؤمنون، الآية: ٩١.

(١٤٨) سورة التوبة، الآية: ٣٠.

(١٤٩) سورة الأنعام، الآية: ١٠١.

(١٥٠) سورة الشورى، الآية: ١١.

فائدةٌ:

هــذه السّــورة الكريمة مؤلّفةٌ من أربع آيــاتٍ، وقد جاءت في غاية الإيجــاز، وأوضحت صفات الجلال والكمــال، ونزّهت الله جلّ وعــلا عن صفات العجز والنّقص، فقد أثبتت الآية الأُولى الوحدانيّة ونفت التّعــدّد ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾، وأثبتــت الثّانية كماله تعالى، ونفــت النّقص والعجز ﴿**اللَّهُ الصَّمَدُ**﴾، وأثبتــت الثّالثــة أزليّته وبقاءه، ونفت الذّرّيــة والتّناسل ﴿**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ**﴾، وأثبتت الرّابعة عظمته وجلاله، ونفت الأنداد والأضداد ﴿**وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾.

وقد روي أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعليّ عليه السلام: «مثلك مثل ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ فإنّه من قرأها مرّة فكأنّما قــرأ ثلــث القــرآن، ومن قرأها مرّتــين فكأنّما قرأ ثلثي القــرآن، ومن قرأها ثلاث مــرّات فكأنّما قرأ القــرآن، وكذلك مــن أحبّك بقلبه كان لــه مثل ثلث ثواب أعمــال العباد، ومن أحبّــك بقلبه ونصرك بلسانه كان له مثل ثلثي أعمال العباد، ومن أحبّك بقلبه ونصرك بلسانه ويده كان له مثل ثواب أعمال العباد»(١٥١).

---

(١٥١) المحاسن، البرقي، ج١، ص١٥٤.

١٢

الدرس الثاني عشر

سورة القدر

الدرس الثاني عشر

سورة القدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ❖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ❖ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ❖ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ❖ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾

(سُورَةُ القَدرِ)

مكّيّةٌ، ترتيبها ٩٧، وآياتها خمسٌ.

التفسير:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ القدر إمّا بمعنى كون الشّيء مساوياً لغيره من غير زيادةٍ ونقصانٍ، وقدّر الله هذا الأمر: يقدّره قدراً إذا جعله على مقدار ما تدعو إليه الحكمة.

وإمّا بمعنى العظمة والشّرف من قولهم: لفلانٍ قدرٌ عند فلانٍ، أي: منزلةٌ وشرفٌ.

﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ الهاء كنايةٌ عن القرآن. وظاهره جملة الكتاب العزيز، لا بعض آياته، ويؤيّده التّعبير بالإنزال الظّاهر في اعتبار الدّفعة دون التّنزيل الظّاهر في التّدريج.

وفي معنى الآية قوله تعالى: **﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ❖ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾**(١٥٢)، وظاهره الإقسام بجملة الكتاب المبين، ثمّ الإخبار عن إنزال ما أُقسم به جملة.

فمدلول الآيات أنّ القرآن أنزله الله جملةً واحدةً على النّبي صلى الله عليه وآله وسلم. وهنالك نزوله التّدريجي الّذي تمّ في مدّة ثلاث وعشرين سنةً، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾(١٥٣).

وقد سُمّيت ليلةَ القدر لأنّها اللّيلة الّتي يحكم الله فيها ويقضي بما يكون في السّنة بأجمعها من كلّ أمرٍ.

---

(١٥٢) سورة الدخان، الآيتان: ٢ و ٣.

(١٥٣) سورة الإسراء، الآية: ١٠٦.

في ميقات هذه اللّيلة:

بما أنّ القرآن يفسّر بعضه بعضاً نرجع إليه لنرى تحديد هذه اللّيلة:

فقد أشار الله عزّ وجلّ إلى زمان نزول القرآن الكريم على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في مواضع من كتابه الكريم:

منها: في سورة القدر:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾.

ومنها: في سورة الدّخان: **﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾**[١٥٤] .

ومنها: في سورة البقرة: **﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾**[١٥٥] .

فآيــة سورة القدر صريحةٌ في أنّ إنزال القرآن كان في ليلة القدر، وآية سورة الدّخان تؤكّد ذلك وتبيّن أنّ النّزول كان في ليلةٍ مباركةٍ، وآية سورة البقرة تُرشد إلى أنّ نزول القرآن كان في شهر رمضان.

فالمستفاد من القرآن أنّها واقعة في شهر رمضان.

والروايـات الّتي وردت عن الرســول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة عليهم السلام تحدّد أنّ هذه اللّيلة في العشر الأواخر من شهر رمضان.

عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم: «التمسوها في العشر الأواخر»[١٥٦].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل العشر الأواخر شدّ المئزر واجتنب النّساء وأحيا اللّيل وتفرّغ للعبادة»[١٥٧].

وقد اختلف العلماء في أنّها أيّة ليلة من العشر الأواخر، حيث وردت رواياتٌ تحدّدها إجمالاً، فمثلاً في بعضها: «التمسوها في كلّ وترٍ»[١٥٨].

وروي عــن الإمــام الصادق عليه السلام أنّها الليلة الحاديــة والعشرون أو الثالثة والعشــرون. وعندما أصرّ عليه أحدهم في تعيين واحدة من الليلتين لم يزد الإمام على أن قال: «ما أيسر ليلتين فيما تطلب»[١٥٩].

(١٥٤) الآية:٣.

(١٥٥) الآية: ١٨٥.

(١٥٦) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج٧، ص٤٦٧.

(١٥٧) الشيخ الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ج١٠، ص ٤٠٦.

(١٥٨) م.ن.

(١٥٩) تفسير نور الثقلين، ج٥، ص٦٢٥.

وعنـه عليه السلام: «التقدير في ليلة القدر تسعة عشر، والإبـرام في ليلة إحدى وعشرين،والإمضاء في ليلة ثلاث وعشرين»[١٦٠]

ثمة روايات عن أهل البيت عليهم السلام تركز على الليلة الثالثة والعشرين[١٦١].

﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ**﴾ ولم تبلغ بدرايتك وعلمك غاية فضلها ومنتهى علوّ قدرها.

والاستفهام في هذه الآية بغرض التّفخيم والتّعظيم.

﴿**لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾ إنّ العبادة والعمل الصّالح في هذه اللّيلة خيرٌ من ألف شهرٍ ليس فيها ليلة القدر.

وذِكْرُ ليلة القدر ثلاث مراتٍ زيادةٌ في الاعتناء بشأنها وتفخيماً لأمرها.

﴿**تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ**﴾ أي: تنزّل الملائكة وجبرئيل في ليلة القدر إلى الأرض ليسمعوا الثّناء على الله وقراءة القرآن وغيرها من الأذكار.

فذكر جبرئيل عليه السلام بعد الملائكة في قوله تعالى: ﴿**تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا**﴾، بناءاً على أنّ الروح هو جبرئيل لينبّه على جلالة قدره.

﴿**سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ**﴾ هي مبتدأ، وسلامٌ خبرٌ مقدّمٌ.

أي: هـذه اللّيلـة إلى آخرها سلامةٌ مـنِ الشّرور والبلايا وآفات الشّيطان، وهـو تأويل قوله: ﴿**فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ**﴾.

---

(١٦٠) م.ن، ص٦٢٦.

(١٦١) انظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٢٠، ص٣٥٠.

١٣

الدرس الثالث عشر

سورة العصر

الدرس الثالث عشر

سورة العصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ ❖ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ❖ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

(سُورَةُ العَصر)

مكّيّةٌ، ترتيبها ١٠٣، وآياتها ثلاثٌ.

التفسير:

تمهيد: تلخِّص سورة العصر جميع المعارف القرآنية وتجمع شتات مقاصد القرآن في أوجز بيان[١٦٢]، ونقل عن الشافعي أنه قال: «لو لم ينزل من القرآن سوى هذه السورة لكفت»[١٦٣].

﴿وَالْعَصْرِ﴾: أقسم سبحانه وتعالى بالدهر لأنّ فيه عبرة لذوي الأبصار، والقسم من الموارد التي تكرَّرت في القرآن الكريم في مواضع يبرز فيها جوانب الأهمية، وتهدف للتأكيد على موضوع القسم إبراز أهميته.

والمراد بالعصر على الأشهر عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو عصر طلوع شمس الإسلام على المجتمع البشري، وظهور الحق على الباطل[١٦٤]

وذكر الشهيد مطهري قدس سره أن الأنسب في المقام هو أن القسم بالزمان وتاريخ البشرية لأن القَسَم في القرآن يتناسب مع الموضوع الذي أقسم الله من أجله، فإذا أراد القرآن أن يتبيّن أهمية ذلك العصر أقسم به، والمعلوم أن عصر النبي هو عصر طلوع الإسلام[١٦٥].

---

(١٦٢) السيد الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٣، ص٤٠٩.

(١٦٣) محمد جواد مغنية ، التفسير المبين، ٨٢١.

(١٦٤) السيد الطباطبائي، المصدر السابق.

(١٦٥) الشهيد مطهري، تفسير قصار السور.

مفهوم خسارة الإنسان:

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾ وقد تكرَّر الكلام في القرآن الكريم حول خسارة الإنسان للنفس أو المال أو الأهل أو الدنيا والآخرة، حيث ورد في سبعين مورد ذكر الخسران أو الخسارة ونحوها[١٦٦].

وهذا ما يبرز أهمية المفهوم وضرورة الإلتفات إلى دراسته، وتحديد مراد الله تعالى من خسارة الإنسان الذي يعتبر من أكرم وأفضل المخلوقات عند الله تعالى، وهذا ما يمكن فهمه من السورة.

- جنس الإنسان: إن المقصود بالإنسان هنا هو جنسه، بمعنى أن الخسران الوارد في هذه الآية شامل لجميع أفراد البشر، ولعموم الإنسان المكلف، فالألف واللام في لفظ «الإنسان» للجنس الذي يفيد الاستغراق في كل أفراد الإنسان، والإتيان بحرف للتأكيد على الكون في الخسران والاستغراق فيه.

وقد ورد التأكيد على الخسارة في كلمات وجمل السورة: فعندما ندقق لغوياً في ألفاظ الآية، نجد نوعاً من التأكيد والتشديد الوارد فيها من عدة جهات مثل:

- إنّ: حرف يفيد التوكيد.
- لفي: اللام حرف زائد يفيد التوكيد.
- ﴿**إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾ الجملة الاسمية تفيد التوكيد.

وموضوع هذا التوكيد الذي أتى بعد القسم بالعصر هو خسارة الإنسان، ولو لم يكن إلا القسم لكفى.

ما هو الخسران الطارئ على الإنسان الذي تؤكِّد عليه الآية:

الخسر والخسران والخسارة يعني نقصان رأس المال، لا النقصان فيما زاد أو فضل عنه من الأرباح ونحوها، وينسب ذلك إلى الإنسان فيقال:

خسر زيد، وإلى الفعل فيقال: خسرت تجارته[١٦٧] وعندما ندقّق في الخسر والخسران أكثر نجد بأنه

(١٦٦) راجع سورة البقرة الآيات: ٢٧، ٦٤، ١٢١- وآل عمران: ٨٥، ١٤٩- والنساء: ١١٩- والمائدة: ٥، ٢١، ٣٠، ٥٣- والأنعام: ١٢، ٢٠، ٣١، ١٤٠- والأعراف: ٩، ٢٣، ٥٣.

(١٦٧) الراغب الأصفهاني، شرح مفردات القرآن.

عبارة عن ذهاب رأس المال إما كلاً أو بعضاً، والخسران أبلغ من الخسر، وخسران النفس هو إيرادها مورد الهلكة والشقاء، بحيث يبطل منها استعداد الكمال فيفوتها السعادة[١٦٨].

والخسارة هنا أشمل من الخسارة المالية أو الماديّة، إذ الخسارة المادية أو المالية في عمل أو تجارة ونحوه يمكن أن يعوَّض ويعود، أما الخسارة التي يخسرها الإنسان هنا فإنه لا يمكن أن تعوّض.

فماذا يخسر الإنسان[١٦٩]؟

يخسر الإنسان رأسماله الحقيقي، وأغلى ما يملك في هذا الوجود وهو عمره، فالعمر في حالة نقصان وتسرّب دائمين، ويتناقص يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة ولحظة بعد لحظة، وبسرعة بدون أدنى توقف أو تأخر أو بطء، فتضعف قوى الإنسان المادية والبدنية والمعنوية، فالعمر كثروة ورأسمال كبير يؤخذ منه كل يوم شيء، رغماً عن صاحبه فيكون في حالة خسران مستمر.

ينقل أحد العلماء في تفسير هذه الآية من سورة العصر عن أحد الصالحين أنه تعلم معنى هذه الآية من بائع ثلج، يعرض بضاعته تحت الشمس وكان يصيح ويقول: إرحموا من يذوب رأس ماله[١٧٠].

وقد ورد في الروايات أن كل نفس من أنفاس الإنسان يقرّبه خطوة نحو الموت، عن الإمام علي عليه السلام: «نفسُ المرء خطاه إلى أجله»[١٧١]. وهكذا كل ضربة من ضربات القلب تقرب الإنسان من الموت...

---

(١٦٨) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن.

(١٦٩) الخسارة في القرآن الكريم: من هم الخاسرون؟ (خسران الأنفس): قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ﴾.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

الخسران وعدم الإيمان:قال الله تعالى: ﴿قُل لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾.

خسران الدنيا والآخرة:قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

- الأخسرون: قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا × الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.

(١٧٠) تفسير الفخر الرازي، ج٣٢.

(١٧١) السيد الرضي، نهج البلاغة، الكلمات القصار، ٤٧.

الدنيا دار ربح وخسارة:

لقد وهب الله تعالى الإنسان رأسمال عظيم وهو العمر لينجز فيه في الدنيا الذي يعبّر عنها بأنها «سوق تجارة»، يقول الإمام علي الهادي عليه السلام: «الدنيا سوق ربح فيها قوم وخسر آخرون»(١٧٢).

ولكن كيف ينفق الإنسان رأس ماله هذا!!

فهناك من ينفق رأس ماله مقابل الحصول على مال.

وهناك من ينفقه للحصول على المناصب والجاه.

وهناك من ينفقه في سبيل أهوائه وملذاته.

ويوجد من ينفق كل وجوده وحياته ويهبهما لله تعالى وفي سبيله.

ما هو ثمن هذه الثروة العظيمة «العمر»:

طبعاً لا يوجد أي واحد من هذه الأمور يمكن أن يكون ثمناً لتلك الثروة العظيمة، سوى رضا الله تعالى، قال الإمام علي عليه السلام: «إنه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها»(١٧٣).

الله تعالى هو الجهة الوحيدة المؤهّلة لشراء العمر:

قال الله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**(١٧٤).

وقال تعالى: **﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾**(١٧٥).

---

(١٧٢) تحف العقول، ص٣٦١، كلمات الإمام علي الهادي عليه السلام.

(١٧٣) المصدر السابق، الكلمة ٤٥٦.

(١٧٤) سورة التوبة، الآية ١١١.

(١٧٥) سورة النساء، الآية ٧٤.

سر عدم خسارة المؤمنين:

فقد ورد في الآية الكريمة: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

فقد وضع القرآن الكريم منهجاً للنجاة من ذلك الخسران يتكون من أربعة أصول، تحول دون هذا الخسران الكبير وتبدّله إلى منفعة كبيرة، وربح عظيم، لأنه يحصل على رأس مال أغلى وأثمن، يسدُّ مسدَّ رأس المال المفقود ويكون أفضلَ وأكثر منه.

الأصول الأربعة لنفي الخسارة وتحويلها إلى فوز:

١. الإيمان: قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.
٢. العمل الصالح: قوله تعالى: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.
٣. التواصي بالحق: قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾.
٤. التواصي بالصبر: قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

فالإنسان المؤمن لا تقع عليه الخسارة لأنه راجع وذاهب إلى حيث يُحب، وهو الله تعالى، إلى دار البقاء والخلود والنعيم والفوز فهو في كل الحسابات فائز وناجح وقد أكّد القرآن أن الانسان يرجع إلى الله تعالى ولا يموت.

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[١٧٦]. ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[١٧٧]. ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[١٧٨]. ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[١٧٩]. ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[١٨٠].

<u>**الإيمان:**</u> فقد ذكرت الآية الإيمان المطلق، لتشمل الإيمان بالله تعالى وصفاته والكتب السماوية والقيامة والأنبياء والمقدسات.

---

(١٧٦) سورة العنكبوت، الآية ٥٧.

(١٧٧) سورة البقرة، الآية ٢٨.

(١٧٨) سورة القصص، الآية ٨٨.

(١٧٩) سورة فصلت، الآية ٢١.

(١٨٠) سورة الزخرف، الآية ٨٥.

فالإيمـان يشمـل العقيدة، والسلوك، والتديـن. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(١٨١).

سر تلازم الإيمان والعمل الصالح في القرآن الكريم:

الإيمان والعمل الصالح رفيقان لا يفترقان:

قـال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ...﴾(١٨٢). ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَات...﴾(١٨٣). ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى...﴾ (١٨٤). ﴿...إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا...﴾(١٨٥). ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾(١٨٦).

فالقاعـدة المستفـادة من هذه الآيات وغيرها هـي: عدم وجود إيمان بلا عمـل والعمل يجب أن يكون صالحاً، منسجماً مع الشريعة المقدّسة.

فـكل عمـل من شأنه أن يهدي الناس أو يرفع من مستواهـم العلمي أو العملي أو الثقافي أو... هو عمل صالح. فالعمل الصالح هو الجانب العملي للإيمان «الإيمان عمل كله».

التواصي بالحق والصبر:

تواصـو بالحق والصـبر: أي الوصية المتقابلة فيوصي كل مؤمن المؤمـن الآخر، فالايصاء فعل مزدوج والإيصـاء هنـا إشارة إلى وظيفتنا تجـاه الآخرين من أبنـاء المجتمع الحدث، فتوصـي الآخر وتقبل وصيته لك.

الصـبر: إذ بعـد الإيمان قد يـبرز عوائق وموانع وصعوبـات ويتعرّض المؤمن لـلأذى، فلا بد له من الصبر ليقوى على الاستمرار خاصة وأن البقاء على الإيمان للعمل أصعب من العمل نفسه.

---

(١٨١) سورة الأنفال: الآية ٢.

(١٨٢) سورة مريم، الآية ٦٠.

(١٨٣) سورة الفرقان، الآية ٧٠.

(١٨٤) سورة الكهف، الآية ٨٨.

(١٨٥) سورة سبأ، الآية ٣٧.

(١٨٦) سورة مريم، الآية ٩٦.

١٤

الدرس الرابع عشر

سورة الكوثر

الدرس الرابع عشر

سورة الكوثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ❖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ❖ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾

(سُورَةُ الكَوْثَر)

مكّيّةٌ، ترتيبها ١٠٨، وآياتها ثلاثٌ.

التفسير:

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿الْكَوْثَرَ﴾ الخير الكثير، وهو مبالغة من الكثرة، والعرب تسمّي كلّ شيء كثيرٍ في العدد والقدر والخطر كوثراً.

﴿شَانِئَكَ﴾ الشّانئ المبغض من الشّنآن بمعنى العداوة والبغض، ومنه **﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ﴾**(١٨٧) أي: بغضهم.

قال صاحب الميزان قدس سره:

وقد اختلفت أقوال المفسّرين في تفسير الكوثر اختلافاً عجيباً، وقد نقل عن بعضهم أنّه أنهى الأقوال إلى ستّةٍ وعشرين قولاً.

فقيل: هو الخير الكثير، وقيل: نهرٌ في الجنّة، وقيل: حوض النّبي صلى الله عليه وآله وسلم في الجنّة، وقيل: أولاده، وقيل: أصحابه وأشياعه صلى الله عليه وآله وسلم إلى يوم القيامة إلى غير ذلك مما قيل.

قوله في آخر السّورة: **﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾**. وظاهر الأبتر المنقطع نسله، وظاهر الجملة أنّه من قبيل قصر القلب. إنّ كثرة ذريّته صلى الله عليه وآله وسلم هيَ المرادة وحدها بالكوثر الّذي أُعطيه النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، أو المراد بها الخير الكثير، وكثرة الذّرّيّة مرادة ضمن الخير الكثير، ولولا ذلك لكان تحقيق الكلام بقوله: ﴿

(١٨٧) سورة المائدة، الآية: ٨.

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ خالياً عن الفائدة.

وقـد استفاضـت الرّوايـات أنّ السّورة إنّما نزلـت فيمن عابه ﷺ بالبتر بعد ما مـات ابناه القاسم وعبـد الله. والجملة لا تخلو من دلالة علـى أنّ ولد فاطمة عليها السلام ذرّيّته ﷺ، وهذا في نفسه من ملاحم القـرآن الكـريم، فقد كثّر الله تعالى نسله بعده كثرةً لا يعادلهـم فيها أيّ نسلٍ آخر، مع ما نزل عليهم من النّوائب، وأفنى جموعهم من المقاتل الذّريعة(١٨٨).

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾

إنّ واهـب النعم هو الله تعـالى، فهو سبحانه يستحق العبادة لا غيره، وكلمـة "الربّ" تعني استمرار النعمة والتدبير والربوبية.

والأمـر بالصلاة والنحر للـرب مقابل ما كان يفعله المشركون من سجودهـم للأصنام ونحرهم لها، بينما كانوا يرون نعمهم من الله. وتعبير لربّك دليل واضح على وجوب قصد القربة في العبادات.

تفسير النحر:

وذكر للنحر ثلاثة تفاسير:

١. النحر للإبل.
٢. النحر: أي استقبال القبلة في الصلاة، لأن النحر أعلى الصدر، والعرب تستعمل الكلمة لاستقبال الشيء، فيقولون منازلنا تتناحر، أي تتقابل.
٣. روي عن العترة الطاهرة عليهم السلام أنّ المقصود من النحر رفع اليد حذاء الوجه، ومنها عن الأصبغ بن نباتـة عن أمير المؤمنـين عليه السلام، قال: "لمّا نزلت هذه السّورة قـال النّبي ﷺ لجبرئيل عليه السلام: مـا هذه النّحيرة الّتي أمـرني بها ربّي؟ قال: ليس بنحيرةٍ ولكنّه يأمـرك إذا تحرّمت للصّلاة أن ترفع يديك إذا كبّرت وإذا ركعت وإذا رفعت رأسك من الركوع وإذا سجدت، فإنّه صلاتنا وصلاة الملائكة في السّموات السّبع، فإنّ لكلّ شيءٍ زينةً، وإنّ زينة الصّلاة رفع الأيدي عند كلّ تكبيرٍ"(١٨٩).

---

(١٨٨) العلّامة الطباطبائي، تفسير الميزان، ج٢٠، ص ٣٧١.

(١٨٩) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج٦، ص٣٠. انظر: تفسير الأمثل، ج٢٠، ص٥٠٠.

١٥

الدرس الخامس عشر

سورة النصر

الدرس الخامس عشر

سورة النصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ❖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ❖ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾

(سُورَةُ النّصر)

مدنيّةٌ، ترتيبها ١١٠، وعدد آياتها ثلاثٌ، وسُمِّيت بسورة التّوديع أيضاً.

وهي تتحدّث عن فتح مكّة الّذي اعتزّ به المسلمون، وانتشر معه الإسلام في الجزيرة العربيّة، وتقلّمت أظافر الشّرك والضّلال، وبهذا الفتح المبين دخل النّاس في دين الله، وارتفعت راية الإسلام، واضمحلّ عبدة الأصنام.

وكان الإخبار بفتح مكّة قبل وقوعه من أظهر الدّلائل على صدق نبوّته صلى الله عليه وآله وسلم. كقوله تعالى في سورة الرّوم: **﴿غُلِبَتِ الرُّومُ ❖ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ❖ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾**[١٩٠]

التفسير:

﴿نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ هذا ذكر الخاصّ بعد العامّ، لأنّ نصر الله يشمل جميع الفتوحات، فعطف عليه فتح مكّة تعظيماً لشأن هذا الفتح، واعتناءاً بأمره.

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ أي: جماعةً بعد جماعةٍ، وزمرةً بعد زمرةٍ، والمراد بالدّين الإسلام، والمراد من النّاس العرب. وهذا من باب إطلاق العموم وإرادة الخصوص، لأنّ لفظ النّاس عامّ والمراد به العرب.

---

(١٩٠) سورة الروم، الآيات: ٢-٤.

﴿**دِينِ اللَّه**﴾ هذا من باب الإضافة التشريفيّة، كقولك: بيت الله، ورسول الله، وعبد الله.

﴿**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**﴾ هذا أمرٌ من الله سبحانه بأن ينزّهه عمّا لا يليق به من صفات النقص، وأن يستغفره.

وفي نهاية السورة يأمر الله سبحانه بالتسبيح له والحمد والاستغفار، والتسبيح تنزيه الله عن كل عيب ونقص، والحمد لوصف الله بالصفات الكمالية، والاستغفار إزاء تقصير العبد. وهذه الأوامر الثلاثة تُعلّمنا أن نكون في لحظات النصر الحسّاسة ذاكرين الله لصفات جلاله وجماله وأن نرى كل شيء منه، ونتجه إلى الاستغفار كي يزول عنا غرور الانتصار ونبتعد عن الانتقام.

سورة التوديع:

لمّا نزلت هذه السّورة قرأها صلى الله عليه وآله وسلم على أصحابه ففرحوا واستبشروا وسمعها العبّاس فبكى، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: "ما يُبكيك يا عمّ؟" فقال: أظنّ أنّه قد نُعيت إليك نفسك يا رسول الله، فقال: "إنّه لكما تقول"[١٩١].

فعاش بعدها سنتين وما رُؤي بعدها ضاحكاً مستبشراً.

ولأجل هذا، فقد سمّيت السّورة بـ (سورة التوديع) أيضاً.

وعن أُم سلمة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالآخرة لا يقوم ولا يقعد ولا يجيء ولا يذهب إلّا قال: "سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه"، فسألناه عن ذلك، فقال: "إنّي أُمرت بها، ثُمّ قرأ: ﴿**إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾"[١٩٢].

فعلينا أن نستنّ بسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فإذا ظهرت علائم الموت في واحدٍ منّا، عليه أن يكثر هذا الذكّر المذكور آنفاً.

وهذه هيَ آخر سورةٍ تامّةٍ نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١٩١) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٢١، ص١٠٠.

(١٩٢) م.ن.

١٦

الدرس السادس عشر

سورة الفلق

الدرس السادس عشر

سورة الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ❖ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ❖ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ❖ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ❖ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾

(سُورَةُ الفَلَقِ)

مكّيّةٌ، ترتيبها ١١٣، وآياتها خمسٌ.

التفسير:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ أعوذ: أي: ألجأ وأعتصم، والفلق: شقُّ الشّيء وفصل بعضه من بعضٍ، فلقت الشّيء فانفلق، قال تعالى: **﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾**[١٩٣]، ومنه: **﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾**[١٩٤]، وسمّي الصّبح فلقاً لأنّه ينفلق عنه اللّيل.

أي: قل: ألتجئ وأعتصم بربّ الصّبح الّذي ينفلق عنه اللّيل وينجلي عنه الظّلام.

قال المفسّرون: سبب تخصيص الصّبح بالتّعوذ أنّ انبثاق نور الصّبح بعد شدّة الظّلمة، كالمثل لمجيء الفرج بعد الشدّة. فكما أنّ الإنسان يكون منتظراً لطلوع الصّباح، فكذلك الخائف يترقّب مجيء النّجاح.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أي: من شرّ جميع المخلوقات من الإنس والجنّ والدوابّ والهوامّ.

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ غاسقٍ: اللّيل إذا اشتدّ ظلامه، قال تعالى: **﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾** يقال:

(١٩٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٥.

(١٩٤) سورة الأنعام، الآية: ٩٦.

غَسَقَ اللّيل، أي: أظلم.

وقب: دخل بظلامه، والوقوب: الدخول.

أي: ومن شرّ اللّيل إذا أظلم واشتدّ ظلامه، فإنّ ظلمة اللّيل ينتشر عندها أهل الشّرّ من الإنس والجنّ.

﴿**مِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ**﴾ النّفّاثات: النّفث أي النّفخ، والنّفّاثات النّساء اللّواتي ينفخن في العقد.

أي: من شرّ الساحرات اللاتي يعقدن عقداً في خيوط، وينفخن فيها ليضرّوا عباد الله بسحرهنّ، ويفرّقوا بين الرّجل وزوجته ﴿**وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ**﴾[١٩٥].

﴿**وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**﴾ أي: ومن شرّ الحاسد الّذي يتمنّى زوال النّعمة عن غيره.

وكم من شرٍّ مصدره الحسد، كالسرقة والأذيّة والسخرية والتكبّر والقتل... وقد ورد الكثير في ذمِّه، عن الإمام الصادق عليه السلام: "إنّ الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب"[١٩٦].

وعنه عليه السلام: "آفّة الدين الحسد والعجب والفخر"[١٩٧].

---

(١٩٥) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

(١٩٦) بحار الأنوار، ج٧٣، ص٢٣٧.

(١٩٧) م.ن، ص٢٤٨.

١٧

الدرس السابع عشر

سورة الناس

الدرس السابع عشر

سورة الناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ❖ مَلِكِ النَّاسِ ❖ إِلَهِ النَّاسِ ❖ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ❖ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ❖ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ﴾

(سُورَةُ النّاسِ)

مكّيّةٌ، ترتيبها ١١٤، وآياتها ستّ.

قيل: هي مدنيّةٌ لسبب نزولها مع سورة الفلق، والمستفاد من الروايات أنّ السّورتين نزلتا معاً.

التفسير:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ أي: قل يا محمّد: ألتجئ وأستجير بخالق النّاس ومربّيهم ومدبّر شؤونهم.

﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ أي: مالك جميع الخلق حاكمين ومحكومين.

﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ أي: معبودهم الّذي لا ربّ لهم سواه.

وإنّما قدّم الرّبوبيّة لأنّها من أوائل نعم الله على عباده، ثُمّ ثنّى بذكر المالكيّة لأنّ العبد إنّما يدرك ذلك بعد أن يصير عاقلاً مفكّراً، ثُمّ ثلّث بذكر الأُلوهيّة لأنّ المرء بعد أن يدرك ويعقل يعلم أنّه سبحانه المستوجب للخضوع والعزّة والمستحقّ للعبادة.

﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ **الوسواس:** أي: الموسوس الّذي يلقي حديث السّوء في النّفس.

الخنّاس: من الخنوس، وهو الاختفاء بعد الظّهور، من خنس يخنس. والخنّاس هو كثير الخنوس والاختفاء. والشّيطان الّذي يختنس وينقبض إذا ذكر الله.

أي: من شرّ الشّيطان الّذي يلقي حديث السّوء في النّفس، ويوسوس للإنسان ليغريه بالعصيان، الّذي يخنس أي يختفي ويتأخّر إذا ذكر العبد ربّه، فإذا غفل عن الله عاد فوسوس له.

﴿الَّـذي يُوَسْـوِسُ فِي صُـدُورِ النَّاسِ﴾ أي: الّذي يلقي لشدّة خبثه في قلـوب النّاس صنوف الوساوس والأوهام.

عن الإمام الصادق عليه السلام: "ما من مؤمن إلا ولقلبه أذنان في جوفه: أذن ينفث فيها الوسواس الخنّاس وأذن ينفث فيها الملك، فيؤيد الله المؤمن بالملك، وذلك قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾"(198).

﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ﴾ (من) بيانيّةٌ.

أي: يكون هذا الشّيطان من الجنّ، ويكون من النّاس.

قال تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾**(199).

الموسوس قسمان:

١. قسـم الجِنّة، وهم الخلـق المستترون الّذين لا نعرفهم، وإنّما نجد في أنفسنا أثراً ينسب إليهم، ولكلّ واحد من النّاس شيطانٌ، وهي قوّةٌ نازعةٌ إلى الشّرّ، ويحدث منها في نفسه خواطر السّوء.

٢. قسـم النّاس، ووسوستهم مـا نشاهده ونراه بأعيننا ونسمعه بآذاننا. ولا شك أنّ شياطين الإنس أشـدّ فتكاً وخطراً من شياطين الجنّ، فإنّ شيطان الجنّ يخنس بالاستعاذة، وشيطان الإنس يزيّن له الفواحش ويغريه بالمنكرات، ولا يثنيه عن عزمه شيءٌ، والمعصوم من عصمه الله.

عـن الإمـام الصادق عليه السلام: "ما من قلب إلا وله أذنان على أحدهما ملك مرشد وعلى الآخر شيطان مفـتر، هذا يأمره وهـذا يزجره، وكذلك من النـاس شيطان يحمل الناس علـى المعاصي، كما يحمل الشيطان من الجن"(200).

---

(١٩٨) بحار الأنوار، ج٦٠، ص١٩٤.

(١٩٩) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.

(٢٠٠) بحار الأنوار، ج٦٠، ص٢٤٥.

قراءة صحيحة واستذكار

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ❖ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ❖ اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

شرح المفردات

١. **القيّوم:** الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه.

٢. **سِنَة:** فُتور يتقدّم النوم.

٣. **يشفعُ:** يتوسّط بالمغفرة.

٤. **يؤوده:** يُثقله ويُتعبه.

٥. **الغيّ:** مقابل الرشد، وهو الضلال مقابل الحق.

٦. **الطاغوت:** الشياطين، وكلّ ما عُبد من دون الله تعالى.

١٨

الدرس الثامن عشر

سورة الهمزة

الدرس الثامن عشر

سورة الهمزة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ❖ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ❖ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ❖ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ❖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ❖ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ❖ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ❖ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ❖ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾

(سورةُ الهُمزة)

مكّيّةٌ، ترتيبها ١٠٤، وعدد آياتها تسعٌ، نزلت بعد سورة القيامة.

التفسير:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ الهمزة: الّذي يغتاب النّاس ويطعن في أعراضهم. وبناء (فعلة) يدلّ على الاعتياد والكثرة.

اللّمزة: الّذي يُعيب النّاس بالحاجب والعين.

وقيل إنّ الهمزة الّذي يُعيبك بظهر الغيب، واللّمزة الّذي يُعيبك في وجهك.

الموقدة: المؤجّجة والمسعّرة والملتهبة، إيماءً إلى أنّها لا تخمد أبداً.

﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ العَمَد: جمع عماد، أي: ما يعتمد عليه.

قوله: **﴿عَدَّدَهُ﴾** أي: عدّه مرّة بعد أخرى شغفاً به وتلذّذاً بإحصائه.

قوله: **﴿مَالًا﴾** تنكيره للتّحقير، فإنّ المال وإن كثر ما كثر، لا يغني عن صاحبه شيئاً.

قوله: **﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾** بمنزلة التّعليل لقوله: **﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾**، وقوله: **﴿الَّذِي جَمَعَ﴾** بمنزلة التّعليل لقوله: **﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾**.

﴿كَلَّا﴾، أي: ليس مخلّداً بالمال كما يحسب، أُقسم ليموتنّ ويقذفنّ في الحطمة.

﴿الْحُطَمَةِ﴾ من الحطم وهو الكسر، والمراد بها النّار، لأنّها تحطم العظام وتأكل اللّحوم حتّى تهجم على القلوب.

معنى الآيات:

﴿**وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ**﴾ أي: عذابٌ شديد وهلاكٌ ودمار لكلّ من يعيب النّاس ويغتابهم ويطعن في أعراضهم، أو يلمزهم سرّاً بعينه أو حاجبه.

﴿**الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ**﴾ أي: الّذي جمع مالاً كثيراً وأحصاه وحافظ على عدّه، لئلّا ينقص فمنعه من الخيرات.

﴿**يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ**﴾ أي: يظنّ هذا الجاهل لفرط غفلته أنّ ماله سيتركه مخلّداً في الدّنيا لا يموت.

﴿**كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ**﴾ أي: ليرتدع عن هذا الظنّ، أقسم ليُطرحنّ في النّار الّتي تحطم كلّ ما يلقى فيها وتلتهمه.

﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ**﴾ والاستفهام للتّفخيم والتّهويل لشأن جهنّم.

أي: وما علمك بحقيقة هذه النّار العظيمة؟ إنّها الحطمة الّتي تحطم العظام وتأكل اللّحوم.

ثُمّ فسّرها بقوله: ﴿**نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ**﴾ أي: نار الله المستعرة بأمر الله تعالى وإرادته، ليست كسائر النّيران، فإنّها لا تخمد أبداً.

ثُمّ وصفها بأوصاف تخالف نيران الدّنيا ليؤكّد مخالفتها لها، فقال: ﴿**الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ**﴾ الّتي يبلغ ألمها ووجعها إلى القلوب، فتدخل في الأجواف حتّى تصل إلى الصّدور فتأكل الأفئدة، والقلب أشدّ أجزاء البدن تألّماً، فإذا استولت عليه النّار فأحرقته فقد بلغ العذاب بالإنسان غاية لا يُقَدّر قدرها.

﴿**إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ**﴾ أي: إنّ جهنّم مطبقةٌ مغلّقةٌ عليهم لا يخرجون منها ولا يدخل إليهم روحٌ وريحانٌ.

﴿**فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ**﴾ أي: وهم موثقون في سلاسل وأغلالٍ تُشَدُّ بها أيديهم وأرجلهم بعد إطباق أبواب جهنّم عليهم. وتمدّد العمد إيذاناً بالخلود.

١٩

الدرس التاسع عشر

سورة الماعون

الدرس التاسع عشر

سورة الماعون

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾

(سُورَةُ المَاعُونِ)

مكّيّةٌ، ترتيبها ١٠٧، وهي سبع آياتٍ.

التفسير:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ استفهامٌ للتّعجب والتّشويق، أي: هل عرفت وعلمت الّذي يكذّب بالجزاء والبعث والحساب؟

إن أردت أن تعرفه:

﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ يدفع اليتيم دفعاً عنيفاً بجفوةٍ وغلظةٍ.

و**﴿يَدُعُّ﴾** الدّفع بعنفٍ وشدّةٍ، ومنه قوله تعالى: **﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾**[٢٠١].

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾

أي: ولا يحثّ على إطعام المسكين. وفيه إشارةٌ إلى أنّ مَن لا يَحُضُّ الآخرين على إطعام المسكين، فبالأولى هو لا يُطعِمُ المسكين من ماله إذا قدر على ذلك.

أي: ويلٌ للذين هم غافلون عن صلاتهم يؤخّرونها عن أوقاتها تهاوناً بها، ولا يبالون صلّوا أم لم يصلّوا.

قال المفسّرون: لمّا قال: **﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾** بلفظة (عن) عُلم أنّها في المنافقين، ولهذا قيل: الحمد لله الّذي قال: **﴿عَن صَلَاتِهِمْ﴾** ولم يقل: (في صلاتهم)، لأنّه لو قال: (في صلاتهم) لكانت

(٢٠١) سورة الطور، الآية: ١٣.

في المؤمنين، والمؤمن قد يسهو في صلاته.

والفرق بين السّهوين واضحٌ، فإنّ سهو المنافق سهو ترك وقلّة التفاتٍ إليها، فهو لا يتذكّرها ويكون مشغولاً عنها. والمؤمن إذا سها في صلاته تداركه في الحال وجبره بسجدتي السّهو.

عن الإمام علي عليه السلام: "ليس عمل أحبّ إلى الله عزَّ وجلَّ من الصلاة، فلا يشغلنّكم عن أوقاتها شيء من أمور الدنيا، فإنّ الله عزَّ وجلَّ ذمّ أقواماً فقال: ﴿**الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُون**﴾ يَعني أنّهم غافلون استهانوا بأوقاتها"[٢٠٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: "في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ❁ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُون**﴾ قال: "تأخير الصلاة عن أول وقتها لغير عذر"[٢٠٣].

﴿**الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ**﴾ أي: يصلّون أمام الناس رياء ليقال إنّهم صلحاء، ويتخشّعون ليقال إنّهم أتقياء، ويتصدّقون ليقال إنهم كرماء.

﴿**وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ**﴾ أي: ويمنعون النّاس المنافع اليسيرة.

---

(٢٠٢) الخصال، ج٢، ص٦٢١.

(٢٠٣) وسائل الشيعة، ج٤، ص١٢٤.